العلم الحديث

حجة للإنسان أم عليه ؟

القسم الأول

تأليف
الدكتور: عبد الله عبد الرحيم العبادي

نشر وتوزيع
دار الثقافة
قطر الدوحة - ص.ب ٣٢٣

الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية ٣٤٠ / ١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الكون موجد الخلق ، بديع السموات والأرض ، مسير الشمس والقمر ، والنجوم ﴿ **لا الشمسُ يَنْبغي لها أَنْ تُدرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهار وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحون** ﴾[١] . والصلاة والسلام على خير خلقه المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله ، وصحبه والتابعين .

وبعد ، فإن العلم المطلق ، وأسرار هذا الكون العظيم هو من حق الله وحده ، وإن كان البشر قد حاولوا ، ويحاولون جاهدين ، وبكل الوسائل بأن يدركوا كنهه ، أو يكشفوا عن بعض ما يحويه من أسرار ، ومن آيات خفية ، فإنهم لا يزالون حيارى أمام قدرة القادر ، وأسرار خلقه ، فإن ما كشفوه حتى الآن ، وظهر لهم ما هو إلا ذرة من ذرات هذا الكون الواسع الذي لا يدرك مداه إلا الله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَليلاً** ﴾[٢] .

وكلما توصلوا إلى شيء ، فستكون هناك أشياء كثيرة لا حصر لها لا يستطيعون الوصول إليها ، ولا معرفة كنهها على وجه الأرض فضلاً عما في الكون العلوي ، أو العالم السفلي ، وهذا برهان قاطع يدل على عجز الإنسان ، وقصر فهمه ، وحدود إدراكه فنحن نرى أن العلم في عصرنا هذا قد تقدم تقدماً ملموساً إلى حد كبير ، فقد سيطروا على كثير من الأمراض ، وكشفوا لها الدواء اللازم ، والعلاج الناجع ، وكذلك نراهم نجحوا في كثير من العمليات ، ولكن مع ذلك ، فقد ظهرت أوبئة ، وأمراض خطيرة للغاية ، أخطر مما

---

(١) يس آية : ٤٠ .

(٢) الإسراء آية : ٨٥ .

سبقها من الأمراض ، لم تكن معروفة فيا مضى من الزمن نتيجة لطغيان البشر ، وتحديهم لقوانين الخالق ، ونواميسه في خلقه ونتيجة لتعدي حدود الله ، ومخالفة لأوامره ..

وسيظلون هكذا حيارى أمام قدرة القادر ، وعظيم سلطانه فإنهم كلما كشفوا شيئاً ، فستظهر لهم أشياء كثيرة لا حصر لها ، تنبيء عن مدى احتياج الإنسان لخالقه ، وافتقاره إليه وأن العلم المطلق لله وحده ، لم يحصل الإنسان سوى على الشيء اليسير من علمه الواسع .

ولا مانع لدينا من أن نلقي الأضواء في هذا البحث المتواضع على ما كشفوه حتى الآن ، وما توصلوا إليه لندرسه دراسة وافية ، ثم نعرضه على كتاب الله ، وسنة رسوله ، فما كان موافقاً لهما قبلناه ، وما كان مخالفاً رفضناه ، لأننا في حقيقة الأمر بعد الإيمان الراسخ بالله ، واليقين التام من أن كتاب الله تعالى هو الحق ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن كل ما جاء به هو الحق المبين ـ لسنا في حاجة إلى علم الإنسان المخلوق الضعيف ، ولكننا سنذكر ذلك على سبيل الاستئناس فحسب .

وسيظل هذا القرآن العظيم هو المعجزة الكبرى لهذا النبي الكريم سواء أكان في سالف الزمان ، أم في حاضره ، أم في مستقبله !!

ولا شك في أن التوصل إلى مثل هذه الشواهد من الحقائق الثابتة بالبراهين العلمية ، سواء ما يتعلق بخلق الإنسان ، أم ما يتعلق بهذه الأرض التي نعيش عليها ، أم بالأجرام العلوية نصرة للدين الإسلامي ، وحجة عظيمة وقوية للإنسان المسلم الذي آمن بكل ما جاء على لسان نبيه محمد ﷺ ، وأن هذا القرآن حقاً من عند الله ، وأيقن اليقين التام أن ذلك لا يمكن أن يصطدم

أبداً بالحقائق الكونية الثابتة ، سواء أكان في الماضي ، أم في الحاضر ، أم في المستقبل .

أما بالنسبة للجاحد المعاند الذي أنكر وجود الخالق العظيم ، أو تفرده بالوحدانية ، وأنكر رسالة محمد ﷺ ، فإنه حجة عليه ، لأنه بعد ما كشف العلم الحديث الكثير من الحقائق العلمية والكونية التي جاءت موافقة للقرآن الكريم ، ومصدقة إياه لم يعد هناك سبيل للإنكار ، لكي يتذرع به أولئك الجاحدون المتمردون ، حيث إن البرهان قد ثبت ، والحقيقة قد ظهرت والمعجزة قد تحققت على أيديهم أنفسهم ، وليس على أيدي أتباع الإسلام. يقول تعالى موضحاً ما سيكون مستقبلاً وهو علام الغيوب : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آياتِنَا في الآفاقِ وفي أَنْفُسِهم حتى يَتبيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّك أَنَّه على كلِّ شيءٍ شَهِيد** ﴾[1] .

فالضمير في قوله تعالى : ﴿ **سَنُرِيهم** ﴾ يعود على الجاحدين المعاندين المنكرين لرسالة محمد ﷺ ، والكافرين بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه .

وقد شاءت إرادة الله تعالى ، واقتضت حكمته أن يتوصل إلى كل هذه الشواهد من الحقائق ، والكشوفات العلمية والكونية ، هم أعداء الإسلام ، والجاحدون لآياته ، وأن تتحقق على أيديهم أنفسهم ، لا على أيدي أتباع الإسلام ، وإن كانوا هم أولى بها من غيرهم .

---

(١) فصلت آية : ٥٣ .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ في الآفَاقِ ﴾ أقوال ذكرها القرطبي :[١] قول يقول : هي علامات وحدانيتنا ، وقدرتنا في ﴿ الآفاق ﴾ يعني خراب منازل الأمم الخالية . وقول يرى أن الآفاق آيات السماء وقال مجاهد ﴿ في الآفاق ﴾ فتح القرى لما تيسر للرسول ، والخلفاء من انتصارات ، وفتوحات ، وهو اختيار الطبري ، وقاله المنهال ، والسدي ، وقال قتادة والضحاك ﴿ في الآفاق ﴾ وقائع الله تعالى في الأمم ، وقال عطاء وابن زيد ﴿ في الآفاق ﴾ يعني أقطار السموات والأرض من الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والليل والنهار ، والرياح ، والأمطار ، والرعد ، والبرق ، والصواعق والنبات والأشجار ، والجبال ، والبحار ، وغيرها .

ولا يخفى أن الرأي الأخير أقرب للصواب ، وقد جاء في الصحاح وغيره أن الآفاق : النواحي جمع أفق .

كما جاء في تفسير : ﴿ وفي أنفسهم ﴾ أي البلايا ، والأمراض ، وقال ابن زيد حوادث الأرض . وقال القرطبي ﴿ وفي أنفسهم ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط ، والبول ، فإن الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد ، وذلك يتميز من مكانين ..

هذه هي تفاسير المتقدمين ، لأنه لم يخطر ببالهم أبداً كل هذه الاختراعات الحديثة التي توصل إليها الإنسان ، وطار بها من على سطح الأرض ليحل على سطح القمر ، وليكشف الكواكب الأخرى وليجول ، ويصول في أقطار السموات والأرض ، ويكشف العديد من أسرار هذا الكون العظيم . أما اليوم

---

(١) انظر القرطبي ١٥ / ٣٧٤ وفتح القدير ٤ / ٥٢٣ .

فقد وضح كل ذلك ، كما أنهم قد توصلوا إلى أسرار تكوين الإنسان كما جاء في القرآن الكريم ، وتوصلوا إلى علاج كثير من الأمراض المستعصية وتمكنوا من كشف ما بداخل الإنسان من كيفية تركيب أعضائة الدقيقة ، ومن عجيب أمر سيرها في جسمه فبدا لهم واضحاً عظمة الخالق ، وبديع صنعه في خلقه ووحدانيته ، وتفرده بالخلق .

أما الضمير في قوله تعالى ﴿ **أنه الحق** ﴾ فقد نقل القرطبي في ذلك أقوالاً : [١]

أحدها أنه القرآن ، والثاني أنه الإسلام ، والثالث أن ما يريهم الله ويفعل ، الرابع أنه محمد ﷺ .

والذي أرجحه هو عوده على القرآن ، وإذا قلنا إنه راجع إلى القرآن فإنه راجع بالضرورة إلى الإسلام ، وإلى محمد ﷺ .

فمعنى الآية ـ والله أعلم ـ سنريهم العلامات الواضحات الدالة على وحدانية الله تعالى ، وقدرته في نواحي الأرض والسموات وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق ، وأنه من عند الله تعالى ، وأن محمداً عبده ورسوله حقاً لا ينطق إلا بما علمه خالق الخلق ، وموجد الكون .

بذلك فإن النذير قد جاءهم ، والحجة قد قامت وثبتت عليهم والبراهين قد وضحت ، فلم يبق بعد ذلك سوى العناد ، والتحدي لذا فإني أرجح القول القائل بأن ﴿ **النذير** ﴾ في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ**

---

(١) انظر القرطبي ١٥ / ٣٧٥ .

مَنْ تَـذكّر وجَـاءَكُمْ النَّـذِيرُ فَـذُوقُوا فَمَـا للظَّـالِمِينَ مِنْ نَصِير ﴾[١] هـو العقل .

فالله سبحـانـه يقول للمنكرين يوم القيـامـة موبخـاً إيـاهم : أولم نعمركم في الدنيا عمراً كان يمكن لكم فيه أن تتذكروا وتتـدبروا ، وتتبصروا بواسطـة العقل الذي أنعمنا به عليكم ، فتهتدوا إلى الحق ، فتتبعوه ؟!

وقد نقل الشوكاني رحمه الله تعـالى في ذلـك أقوالاً : قولاً يرى أنـه الرسول الكريم صلوات الله عليـه ، وعليـه جمهور المفسرين ، وقـولاً يرى أنـه القرآن ، وقولاً يرى أنـه المـوت أو الشيب ، وقـولاً يرى أنـه مـوت الأهـل والأقـارب ، وقولاً يرى أنه كمال العقل[٢] .

فعلى القول الأخير (أن النـذير هو العقل) فـإني أرى أن هـذا القول ليس ببعيد ـ وإن كان القول الأول والثاني هما الأسـاس في النـذارة ـ لأن العقل هو السبيل لكي يجعل الإنسـان يفكر ويتـدبر فيما هو الأصلـح والأفضل والأمثـل للإنسـان ، وهو مكلف وملزم بـأن يبحث ، ويبحث ، ويبحث حتى يصل إلى الحقيقة ، فيتضح له الحق ، فيتبعه .

لذلك نرى أن الله تعـالى قـد حكم على أولئـك الـذين لا يستعملون قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم في التفكر والتدبر بأنهم كالأنعـام ، بل هم أضل لأن الأنعـام قد تدرك ما ينفعها ، وما يضرها ، فتقبل على النافع وتبتعـد عن الضـار قـال تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلوبٌ لاَ يَفْقَهونَ بها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرون بِها ، ولَهُمْ

---

(١) فاطر آية : ٣٧ .

(٢) انظر فتح القدير ٤ / ٣٥٤ .

آذانٌ لا يَسْمَعـون بِهـا أُولئِـكَ كالأنْعـامِ بَـلْ هم أَضـلُّ أُولئِـك هُمْ الغَافِلون ﴾(١) .

فحكم عليهم سبحانه بالغفلة الكاملة ، لما هم عليه من عـدم التمييز الـذي هو شأن كل عاقل ، ومبصر ، وسامع .

ونرى الآية التاليـة تحضهم على السير في الأرض ، ليشـاهـدوا آيـات الله في مخلوقـاتـه ، فيعتبروا ويتـدبروا ويعقلوا ﴿ أَفَلَمْ يَسيروا في الأَرضِ فَتكون لَهم قُلوبٌ يَعْقِلون بها أَو آذانٌ يَسْمعون بِهـا فـإنَّهـا لاَ تَعْمىٰ الأَبْصَـار وَلَكِنْ تَعْمىٰ القُلُوب التي في الصُّدور ﴾(٢) .

فهذا العقل في الواقع ما هو إلا نذير للإنسان وهو حجة عليه ولا شـك في أن هذه الاختراعات ، والعلوم ، والتكنولوجيا التي توصل إليهـا الإنسـان اليوم ما هي إلا ناتجة عن هذا العقل الـذي أمـد الله بـه الإنسـان ، وميزه ، وفضلـه على سائر مخلوقاته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنـاهُمْ في البَرِّ والبحْرِ وَرزقْنـــاهُمْ مِنَ الطَّيبـــاتِ وفَضّلْنَـــاهُمْ عَلى كثيرٍ مِمّنْ خَلَقْنَـــا تَفْضِيلاً ﴾(٣) .

فمن أعظم مـا فضـل الله بـه الإنسـان هـو هـذا العقـل ، ويليـه النطـق ، والتمييز .

ومن يسلـك بعـد ذلـك غير هـذا السبيل القـويم (الإسـلام) لا يخرج عن كونه واحداً من أربعة :

---

(١) الأعراف آية : ١٧٩ .

(٢) الحج آية : ٤٦ .

(٣) الإسراء آية : ٧٠ .

١ ـ شخص غرته الحياة الدنيا ، وغره علمه القليل ، مهما كثر في ظنه فظن أنه بلغ أسباب الحقيقة ، فمن الطبيعي أن يضل عن سواء السبيل ، وخير وصف لهذا النوع من البشر قوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ للذينَ كَفَرُوا الحياةُ الدُّنيا ويَسْخَرونَ مِنَ الذينَ آمنوا** ﴾[1] .

٢ ـ شخص عقله مقفل لا يتجاوب مع الحقائق التي أمامه وبين يديه ، فحرم مزايا الفهم والإدراك الصحيح ، وأحسن وصف لهذا النوع من البشر قوله تعالى : ﴿ **أُولئِك كالأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضلُّ أولئِك هُمْ الغَافِلون** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **والذينَ كفَروا يَتَمتَّعون ويَأْكُلون كَما تَأكُلُ الأَنْعامُ والنَّارُ مَثْوىً لَّهُم** ﴾[3] ﴿ **أَفَلا يَتَدبَّرونَ القرآنَ أَمْ على قلوبٍ أَقْفَالُها** ﴾[4] .

٣ ـ شخص ضعيف الإرادة فسيره من هو أقوى منه ، فاتبع شيطانه ، وهواه وخير توضيح لمثل هذا الصنف قوله تعالى : ﴿ **الذينَ اتَّخذوا دِينَهُمْ لَهواً ولَعِباً وغَرَّتْهُمْ الحياةُ الدنيا** ﴾[5] .

٤ ـ وصنف إذا أصابه الخير من الله أعرض ونأى بجانبه ونسي خالقه ، ومن هذا الصنف كثير ﴿ **كَلاّ إنَّ الإنسانَ ليَطْغىٰ * أَنْ رآهُ اسْتَغْنىٰ** ﴾[6] ﴿ **وإذَا أَنْعَمْنا عَلى الإنسانِ أعْرَضَ ونَأىٰ بجانِبه** ﴾[7] .

ويجب أن ننبه إلى أن كتاب الله تعالى لم يأت ليعلم الناس الطب أو

---

(١) البقرة آية : ٢١٢ .
(٢) الأعراف آية : ١٧٩ .
(٣) محمد آية : ١٢ .
(٤) محمد آية : ٢٤ .
(٥) الأعراف آية : ٥١ .
(٦) العلق آية : ٦ ، ٧ .
(٧) الإسراء آية : ٨٣ .

الجغرافيا ، أو علم الطبيعة ، أو التنقيب عن الآثار .. وإنما جاء لهداية البشر ، وليعالج النفوس المريضة أولاً وقبل كل شيء ويوجه البشرية الضالة عن - طريق الحق - الموغلة في الفساد والإفساد في الأرض - التوجيه النافع لها في الدنيا والآخرة ويضع الأسس المتينة ليسيروا عليها ، ويتمسكوا بها وليبعدهم عن طريق الشر والرذيلة والانحطاط في الأخلاق .

فهداية البشرية الحائرة إذن ومعالجة النفوس الْمَريضة وتبصير الحيارى ، والضالين عن الطريق الصحيح إلى ما فيه صلاحهم ، وفلاحهم في الدنيا والآخرة هو الهدف الأساس والغاية العظمى التي من أجلها أرسل الرسل وأنزل الكتب .

وإلا فما قيمة ذلك الإنسان الذي تعلم الطب ، ومهر فيه أو ذلك العالم الفلكي الذي نجح في علم الفلك بتفوق وهو بعيد كل البعد عن معرفة خالقه ، والمنعم والمتفضل عليه ، وبعيد كل البعد عن كل القيم والأخلاق النبيلة ، وتهذيب النفس ؟ أو ذلك البرفسور في علم الطبيعة ، وهو لايعرف سوى أن يملأ معدته بالأكل والشرب وينام ..؟

وما قيمة ذلك التمثال المرصع بالجواهر المزين بالذهب والفضة وهو مجرد من الروح ؟

ومع ذلك فإننا نرى أن القرآن الكريم قد اشتمل على كثير من الحقائق العلمية ، والكونية ، وقد نزل هذا القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، فأثبت تلك الحقائق قبل أن يعلم الناس شيئاً من ذلك ، بل نزل أول ما نزل في عالم أكثر الناس فيه جهلاء لا يعرفون القراءة ، ولا الكتابة ، وليس لديهم سوى العلم اليسير ، إلى أن أتى العلم الحديث واعترف بها اعترافاً كاملاً ويعترف

بها يوماً بعد يوم .

فهاهم قد شهدوا على أنفسهم بـالعنـاد والجحود بعـد إقـامـة الحجـة عليهم ، وبواسطة أنفسهم .

كما يجب أن ننبه إلى أنه لا يوجد كتاب سماوي ، أو وضعي قـد اشتمل على كل العلوم من طبيعة وكيمياء ، وعلم اجتماع ، وطب وعلم فلك .. بالإضافة إلى وضع الأسس ، وسن القوانين للمجتمع وبيان الآداب ، والأخلاق الحميدة الفاضلة التي يجب مراعاتها والتقيد بها !!

فلماذا إذن يطلبون منا المستحيل ؟

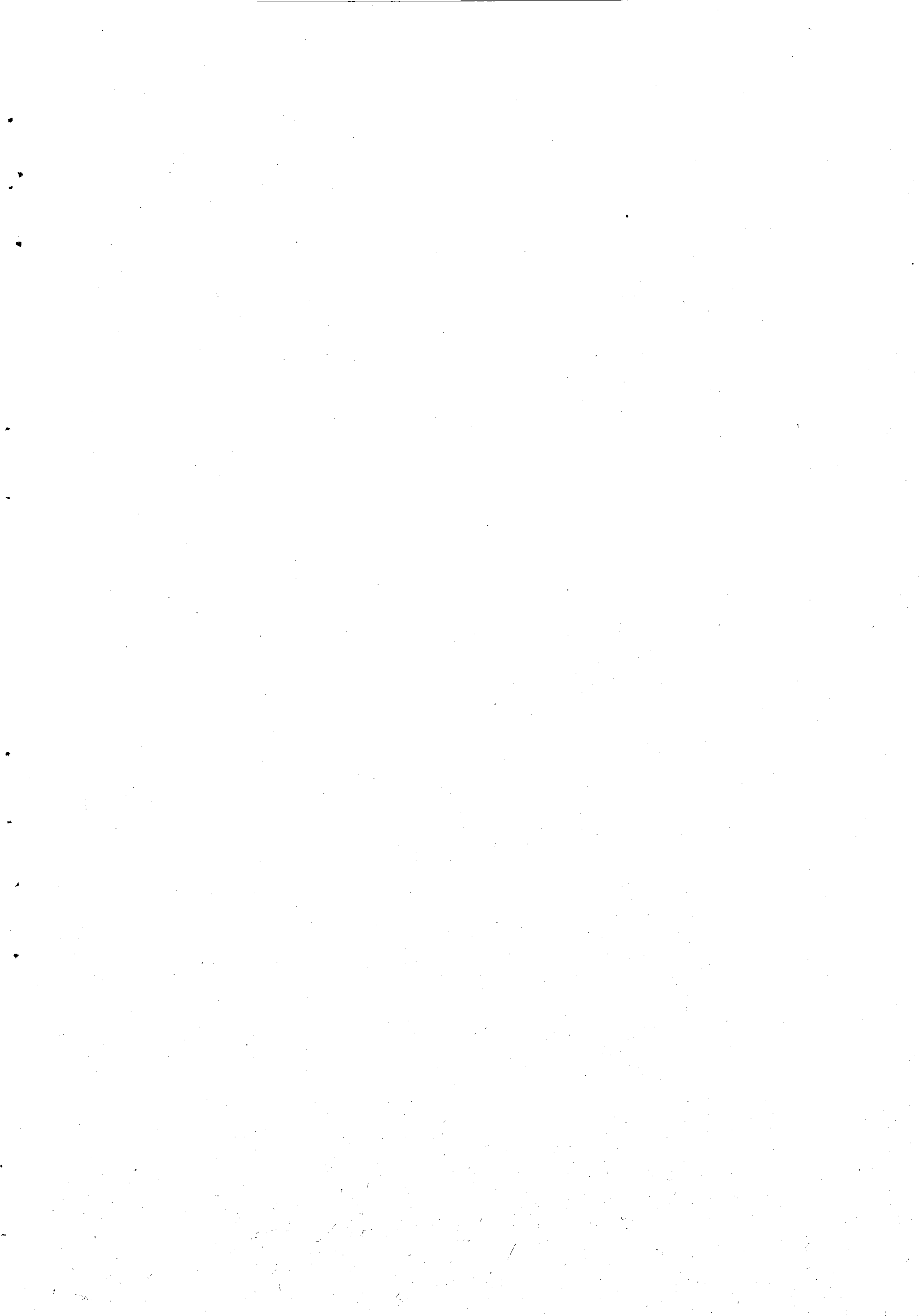
اللهم إلا إذا كانوا يريـدون من وراء ذلـك التشويشَ والتضليـل وتشـويـه الحقائق ، فذلك شيء آخر .

ولا يفوتني كـذلـك أن أنـوه إلى أننـا عنـدمـا نـذكر مثـل هـذه الحقـائـق والبراهين العلمية ، اليقينية التي جاءت مصدقة القرآن أننـا قـد أخضعنـا القرآن الكريم لقوانين الطبيعـة والعلوم الأخرى التي هي من صنـع البشر ، كما يتبـادر لأذهان كثير من الناس ، وإنما الحقيقة ، والواقع أن هـذه العلوم الحـديثـة هي التي خضعت للقرآن الكريم ، حيث وافقت ، وصـدقت كل مـا جـاء في القرآن الحكيم من حقائق ، وبراهين ، وأن أصحابها فعلاً قد قدموا خدمات جليلة لهذا الدين ، ولهذا القرآن ومن حيث لم يشعروا مالم يقدمها المسلمون أنفسهم في هذا العصر .

وسنذكر في هذا البحث ، والبحثين القادمين بإذن الله تعالى ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق ثابتة يقينية قـد ثبتت فعلاً ودونمـا مراء ، أو شـك .

أما النظريـات ، والفروض فـإننـا سنـذكرهـا ونعلق عليهـا ، فمـا كان موافقـاً لكتاب الله وسنة رسوله قبلناه ، وما كان مخـالفـاً رفضنـاه . والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الله العبادي



وجود الخالق وتفرده بالملك حقيقة مطلقة

إن هنالك من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة بما لا يدع مجالاً لمتشكك ، أو مرتاب في وجود الخالق العظيم ، أو نكران ذاته العلية ، ووحدانيته ، وتفرده بالملك ، والقدرة ، والعظمة ، والجبروت : ولنضرب مثالاً واحداً من واقع البشر أنفسهم ـ ولله المثل الأعلى ـ لو قيل لنا أن صاروخا قد كون نفسه من أجزائه الدقيقة والكبيرة ، وانطلق من أمريكا نحو الفضاء ، أو أن سيارة قد كونت نفسها ، وانطلقت دون سائق من الشمال إلى الجنوب دون أن يكون للبشر في ذلك أي صلة من قريب أو بعيد فهل سيصدق ذلك النبأ أحد ؟

لا أعتقد أن يوجد من عنده مثقال ذرة من عقل أنه سيصدق مثل ذلك ، إلا من أزال الله عقله ، وأعمى بصيرته ، وهم كثيرون على وجه الأرض .

فإذا كان العقلاء لا يصدقون مثل هذا النبأ ، وهو شيء من صنع الإنسان ، وهو ذرة من ذرات الكون العظيم ، فكيف يحق لعاقل أعطاه الله هذا العقل أن يدعي أن هذا الكون العظيم وما فيه من نظام دقيق محكم ، وإبداع في الخلق ـ منه ما أطلعنا الله عليه ، فنعقله ، ونراه ، ونلمسه بحواسنا ، ومنه مالا طاقة لنا برؤيته ، أو إدراكه ، أو معرفة كنهه ـ بدون خالق ، أو مسير له ، أو مدبر له ؟

إنه في الواقع العناد ، والتحدي ، ونكران الواقع والحقيقة وليس سوى ذلك .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « كنا مع النبي ﷺ في بعض غزواته ، فمر بقوم ، فقال : من القوم ؟ قالوا : نحن المسلمون ، وامرأة تحضب

(توقد ناراً) بقدرها ومعها ابن لها ، فإذا ارتفع وهج النار تنحت به ، فأتت النبي ﷺ ، فقالت ، أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قالت : بأبي أنت وأمي ، أليس الله أرحم الراحمين ؟ قال : بلى ، قالت : أليس الله أرحم الراحمين بعباده من الأم بولدها ؟ قال : بلى ، قالت : إن الأم لا تلقي ولدها في النار ، فأكبَّ رسول الله ﷺ يبكي ، ثم رفع رأسه إليها ، فقال إن الله لا يعذبُ من عباده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على الله ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله »(١)

وهناك آيات وآيات كثيرة لا حصر لها تدل على وجود الخالق ووحدانيته وتفرده بالملك قال تعالى : ﴿ **إنَّ في خَلْقِ السموات والأَرْضِ واختلافِ الليلِ والنَّهارِ والفُلْكِ التي تَجْري في البحرِ بِمَا يَنْفعُ النَّاس ، وما أَنزلَ اللهُ مِنَ السَماءِ مِن مَاءٍ فأَحيَا به الأَرضَ بَعْدَ مُوتِها . وبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابةٍ وَتصْريفِ الرِّياحِ . والسَّحَابِ المسخرِ بيْنَ السماء والأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلون** ﴾(٢) .

ويقول : ﴿ **أَفَلَمْ يَسيروا في الأَرْضِ فَتَكونَ لَهُمْ قُلوبٌ يَعْقلونَ بِها ، أَو آذانٌ يسمعونَ بها فإنها لا تَعمىٰ الأَبْصَار وَلَكِنْ تَعْمىٰ القُلوب التي في الصُّدور** ﴾(٣) .

ويقول : ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظروا إلى السَماءِ فَوْقَهم كيفَ بَنيْنَاها وزَيَّنَّاها ومَالَها مِنْ فُرُوج . والأَرْضَ مَدَدْناها وأَلقَيْنا فِيها رَواسِيَ وأَنْبتنَا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهيجٍ . تَبْصرةً وذكرىٰ لِكلِّ عبدٍ مُنِيب** ﴾(٤) .

ويقول : ﴿ **أَوَلَمْ يَروْا أَنَّا نَأْتي الأَرضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطرافِها واللهُ**

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) البقرة آية : ١٦٤ .

(٣) الحج آية : ٤٦ .

(٤) ق آية : ٦ ـ ٨ .

يَحْكمُ لا مُعقّبَ لحكمِهِ وَهوَ سَريعُ الحساب ﴾[١] .

ويقول : ﴿ **فَليـنظر الإنسانُ إلى طَعامِه أنَّا صببنَا المـاءَ صَبـاً . ثُمَّ شَقَقْنَا الأرضَ شقاً . فَأَنْبتنَا فِيهـا حَبـاً وعِنبـاً وَقَضْبـاً . وزيتونـاً ونَخْلاً . وحدائِقَ غُلْباً . وفَاكِهةً وأبّاً . مَتَاعاً لَكُمْ ولأنعامِكم** ﴾[٢] .

ويقول : ﴿ **أَوَلَمْ يَروا كيفَ يُبْدىءُاللهُ الخَلْـقَ ثُمَّ يُعِيـدهُ إنّ ذَلِـكَ على اللهِ يَسيرٌ . قُلْ سِيرُوا في الأَرْضِ فَانْظروا كيفَ بَدأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِىءُ النَّشأَةَ الآخرةَ إنّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قَدير** ﴾[٣] .

بل إن الإنسان لو تدبر نفسه ، ودرس تكوينها الداخلي والخـارجي لكفـاه حجة وبرهاناً على وجود الخـالق وعظمتـه قـال تعـالى : ﴿ **وَفي أَنْفُسِكمْ أَفَلا تُبْصِرون** ﴾[٤] .

فرغم كل هذه الحجج ، والبراهين الواضحة ، ورغم مـا كشفـه العلم الحـديث من مخلوقات الله تعالى الدالة على قدرة القادر ، والتي لم يكن للإنسـان علم بهـا من قبل ، ولا يراها بعينه المجردة ، ولا بسمعه العادي من عالم دقيق رهيب لـه خطورتـه في هـذا الكون ، كالجراثيم والمكروبـات والجـاذبيـة ، وقوة الكهربـاء والهواتف السلكية واللاسلكية .. فإن هذا الإنسان الذي أعطاه الله المقدرة على ذلـك لا يـزال يتعنت ، ويجحـد ، ويحـارب الخـالـق العظيم ، ولا يعترف بوحدانيته ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **فـإنَّهـا لا تَعْمىٰ الأَبْصـار**

---

(١) الرعد آية : ٤١ .

(٢) عبس آيات : ٢٤ ـ ٣٢ .

(٣) العنكبوت آية : ١٩ ـ ٢٠ .

(٤) الذاريات آية : ٢١ .

وَلَكِنْ تَعْمى القُلوب التي في الصُّدور ﴾[١] .

يقول جورج إيرل دافيز[٢] : إن التطور الـذي تكشف عنـه العلوم في هـذا الكون هو ذاتـه شـاهـد على وجود الله ، فمن جزئيـات بسيطـة ليس لهـا صور معينـة ، وليس بينهـا فراغ نشـأت ملايين من الكواكب ، والنجـوم ، والعـوالم المختلفـة ، لهـا صور معينـة ، وأعمـار محـددة تخضع لقوانين ثـابتـة يعجز العقـل البشري عن الإحـاطـة بمـدى إبـداعهـا ، وقـد حملت كل ذرة من ذرات هــذا الكون ، بل كل ما دون الذرة مما لا يـدركـه حس ، ولا يتصور صغره عقل ، قوانينها ، وسننها ، وما ينبغي لها أن تقوم به ، أو تخضع له .

هذه أدلة كافية ، ولكن هناك ما هو أشد إعجازاً ، وأكثر دلالـة على وجود الله ، فمن تلـك الجزئيـات البسيطـة لم تنشـأ النجوم والكـواكب فحسب ، بـل نشـأت كـذلـك أنواع متطـورة من الأحيـاء بـل كائنـات تستطيـع أن تفكر ، وتبتكر أشيـاء جميلـة ، بل هي تبحث عن أسرار الحيـاة والوجود ، إن كل ذرة من ذرات هـذا الكون تشهـد بوجـود الله ، وإنهـا تـدل على وجـوده حتى دون حاجة إلى الاستدلال بأن الأشياء المادية تعجز عن خلق نفسها[٣] .

ويتساءل « فرانك ألن »[٤] عالم الطبيعة البوليجيـة : هل نشـأة العـالم هي

---

(١) الحج آية : ٤٦ .

(٢) عالم الطبيعة حاصل على درجة الدكتوراة من جامعة « منيسوتا » ورئيس قسم البحوث الـذريـة بـالبحريـة الأمريكيـة « بيروكلين » أخصـائي في الإشعـاع الشمسي ، والبصريـات الهنـدسيـة ، والطبيعية .

(٣) انظر (الله يتجلى في عصر العلم ص ٤١) .

(٤) ماجستير ودكتوراة من جامعة كورنل أستاذ الطبيعة الحيوية بجـامعـة « مـانيتوبـا » بكنـدا من سنة ١٩٠٤ إلى سنة ١٩٤٤م أخصـائي في إبصـار الألوان ، والبصريـات الفيسلوجيـة ، وإنتـاج الهواء السائل ، وحائز على وسام « تدري » الذهبي للجمعية الملكية بكندا .

ثم يجيب : أن كثيراً ما يقال إن هذا الكون المادي لا يحتاج إلى خالق ولكننا إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود ، فكيف نفسر وجوده ونشأته ؟

هنالك أربع احتمالات للإجابة عن هذا السؤال : فإما ان يكون هذا الكون مجرد وهم ، وخيال ، وهذا يتعارض مع القضية التي سلمنا بها حول وجوده ، وإما أن يكون له خالق ، فالاحتمال الأول لا يقيم أمامنا مشكلة سوى مشكلة الشعور ، والإحساس فهو يعني أن إحساسنا بهذا الكون ، وإدراكنا لما يحدث فيه ما هو إلا وهم من الأوهام ، ليس له نصيب من الحقيقة ، وانطلاقاً من هذا الرأي ، نستطيع أن نقول : إننا نعيش في عالم كله أوهام ، فمثلاً هذه القطارات ، والطائرات التي نركبها ، ونلمسها ليست إلا خيالات ، وبها ركاب وهميون ، وتعبر بحاراً وأنهاراً لا وجود لها ، وتسير فوق جسور غير حقيقية .. وهذا رأي وهمي في حد ذاته ، لا يحتاج إلى جدال ، أو مناقشة .

أما بالنسبة للرأي الثاني : القائل إن هذا العالم بما فيه من مادة وطاقة قد نشأ هكذا وحده من العدم ، فلا يقل عن القول السابق سخفاً ، وحماقة ، فلا يستحق الجدل ، والمناقشة .

أما الرأي الثالث الذي يقول : إن هذا الكون أزلي ليس لوجوده بداية ، فمن هذا المنطلق إذن ، فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت ، وإما أن ننسبها إلى إله حي يخلق ، وليس هناك صعوبة في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين ولكن قوانين « الديناميكا » الحرارية تثبت أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً ، وهي سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ، وحينئذ تنعدم

الطاقة ، وتستحيل الحياة (ولا شك) عند الوصول إلى هذه الحالة .

أما عن الشمس المستعرة ، والنجوم المتوهجة ، والأرض الغنية بكنوزها الحية ، فهي دليل واضح على أن أصل الكون وأساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو إذن حدث من الأحداث ، وذلك يعني بداهة أنه لابد من خالق أزلي ليس له بداية . عليم محيط بكل شيء ، ليس لقدرته حدود[١] . ويقول أستاذ الطبيعة الحيوية « بول كلانس ابرسولد »[٢] . « قد لا يستطيع الإنسان أن يسلم بوجود الخالق تسليماً تاماً على أساس الأدلة العلمية المادية وحدها ، ولكننا نصل إلى الإيمان الكامل بالله عندما نمزج بين الأدلة العلمية والأدلة الروحية ، أي عندما ندمج معلوماتنا عن هذا الكون المتسع إلى أقصى حدود الاتساع ، المعقد إلى أقصى حدود التعقيد ، مع إحساسنا الداخلي ، والاستجابة إلى نداء العاطفة ، والروح الذي ينبعث من أعماق نفوسنا ولو ذهبنا نحصي الأسباب ، والدوافع الداخلية التي تدعونا بين الأذكياء من البشر إلى الإيمان بالله ، لوجدناها متنوعة لا يحصيها حصر ، ولا تحد ، ولكنها قوية في دلالتها على وجوده تعالى مؤدية إلى الإيمان به »[٣] .

وهذا فيما يبدو لي كلام صحيح ، ومنطق سليم ، فعلم الإنسان بالأدلة المادية وحدها لا يكفي ، ولا يهديه إلى الإيمان بالله مالم يصحب ذلك أدلة روحية عاطفية تنبع من قلب الإنسان ، وبصيرته تتجه نحو باريها وموجدها .

---

(١) انظر (الله يتجلى في عصر العلم ص ٥ ، ٦) .

(٢) أستاذ الطبيعة الحيوية حاصل على درجة الدكتوراة من جامعة « كاليفورنيا » مدير قسم النظائر والطاقة الذرية في معامل « أوك ريدج » عضو جمعية الأبحاث النووية والطبيعة النووية .

(٣) (الله يتجلى في عصر العلم ص ٣٦) .

فكم من عـالم قـد تعمق في علم الطبيعـة ، ودرس الظواهر الكونيـة وكم من طبيب وصل إلى أسرار تركيب جسم الإنسان مما يـدل الـدلالـة القـاطعـة بـأن هناك خالقاً عظيماً لهذا الإنسان ، وبدت لهم الآيات جلية واضحـة بـأنـه إلـه واحد لا يشركـه أحـد في التـدبير والخلق ولكنهم مع ذلـك لا يزالون في حيرة من أمرهم ، وتشكـك مستمر ، لـذلـك نرى رسـول الإسـلام صلـوات الله عليــه وسلامه يثبت الإيمان لتلك الجارية عندما سـألها : « أين الله يـاجـاريـة ؟ » قالت : في السماء . قال عليه الصلاة والسلام لسيدها : « اعتقها فإنهـا مؤمنـة » فعلمها البسيط بالدلائل المادية المرئية لها مع مـا جعل الله في قلبهـا من الأدلـة الروحية العاطفية ، جعلها تؤمن بوجود الله ، وتثبت أنه في السماء .

وقد أخرج ابن المبـارك في الزهـد ، وعبـد الرزاق ، والفرياني ، وابن أبي شيبـة ، وعبـد بن حميــد ، وابن جرير ، وابن المنــذر ، وابن أبي حـاتم وابن مردويـه ، والبيهقي في الأسماء والصفـات عن أبي جعفر المـدائني رجـل من بني هاشم (وليس هو محمد بن علي) قال : « سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَـهُ يَشْرحْ صدَرهُ للإسـلاَم ﴾[١] قـالـوا : كيف يشرح صـدره يـارسول الله ؟ قـال : نور يقـذف فيـه ، فينشرح صـدره لـه ، وينفسح له قالوا : فهل لذلك من أمـارة يعرف بهـا ؟ قـال : الإنـابـة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت »[٢] .

☆ ☆ ☆

---

(١) الأنعام آية : ١٢٥ .

(٢) انظر فتح القدير ٢ / ١٦٢ .

« أصل الكون والعلم الحديث »

يقول تعالى في سورة البقرة : ﴿ الذي خَلَقَ لَكُمْ مَا في الأَرْضِ جَميعاً ثُمَّ اسْتَوىٰ إلى السَماءِ فَسَواهنَّ سَبْعَ سَموات وَهو بكلّ شَيءٍ عَلِيم ﴾[1] من هذه الآية استدل بعض المفسرين القدامى أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء ، ويؤيد هذا القول كذلك في سورة حم السجدة ﴿ قُلْ أئنكم لتكفرون بالذي خَلَقَ الأَرْضَ في يَوْمين وَتَجْعَلونَ لَهُ أَنْداداً ذَلِكَ رَبُّ العَالمين . وجَعَلَ فيها رَوَاسِيَ من فوقها . وبَارَكَ فيها وَقَدَّرَ فيها أقواتَها في أربعةِ أَيَّامٍ سواءً للسائلين . ثم استوى إلى السماءِ وهي دُخانٌ فقالَ لها وللأَرْضِ ائْتيَا طَوْعاً أو كَرْهاً قَالتا أَتَيْنا طائِعين ﴾[2] .

فقوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ يدل على أن خلق الأرض سابق على خلق السماء .

ومنهم من رأى أن خلق السماء سابق على خلق الأرض لقوله تعالى : ﴿ أأَنْتُمْ أَشدُّ خَلْقاً أم السماء بَنَاها . رَفَعَ سَمْكَها فَسَوّاها وأَغطشَ لَيْلَها وأَخرجَ ضُحَاهَا . والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرجَ مِنْها ماءَها ومَرْعَاها . والجِبَالَ أَرْسَاها ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ الحَمدُ للهِ الذي خَلَقَ السموات والأَرْضَ ﴾[4] .

والإشارة إلى خلق السموات قبل الأرض قد جاءت في سورة الأنعام آية ١ و ٧٣

---

(١) البقرة آية : ٢٩ .

(٢) فصلت آيات : ٩ ـ ١١ .

(٣) النازعات آيات : ٢٧ ـ ٣٢ .

(٤) الأنعام آية : ١ .

وسورة التوبة آية ٣٦ وسورة الأعراف آية ٥٤ ، وسورة يونس آية ٣ وسورة هود آية ٧ وسورة الفرقان آية ٥٩ وسورة السجدة آية ٤ وسورة ق آية ٣٨ وسورة الحديد آية ٤ وسورة النازعات الآيات من ٢٧ إلى ٣٣ . وسورة الشمس من آية ٥ إلى آية ١٠ .

وهذا القول لقتادة كما نقله عنه القرطبي ، وأيده ، فهو يقول : « وقول قتادة يخرج على وجه صحيح إن شاء الله تعالى وهو أن الله تعالى خلق أولاً دخان السماء ، ثم خلق الأرض ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواها ، ثم دحا الأرض » .

وقول ثالث رأى أن الله تعالى خلق مادة الأرض قبل السماء أولاً دون دحْوٍ لها ، ثم خلق السماء ، ثم دحا الأرض ، وهو المنقول عن ابن عمر رضي الله عنهما[1] وهو المنقول كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[2] .

وهو ما أيده الطبري . وأرى أن هذا القول أرجح للجمع بين الآيات . ويؤيد هذا قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يرَ الذينَ كَفَرُوا أنَّ السموات والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وجَعَلْنا مِنَ الماءِ كَلَّ شَيْءٍ حَيٍ أَفلا يُؤْمِنون** ﴾[3] قال ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة يعني أنهما كانتا شيئاً واحداً ، ملتزمتين ، ففصل الله بينهما بالهواء[4] .

ويؤيده كذلك ما رواه ابن ماجه في سننه وأبو حاتم البستي في صحيح مسنده عن أبي هريرة قال : قلت : يارسول الله إذا رأيتك طابت نفسي ، وقرت عيني أنبئني عن كل شيء ، قال: « كل شيء خلق من الماء » فقلت :

---

(١) انظر زاد المسير ٩ / ٢٣ .

(٢) انظر الطبري ٣ / ٣٠ ، وفتح القدير ٥ / ٣٨١ .

(٣) الأنبياء آية : ٣٠ .

(٤) انظر القرطبي ١١ / ٢٨٣ .

أخبرني عن شيء إذا عملت بــه دخلت الجنــة ، قــال : « أطعم الطعـام ،وأفش السـلام ، وصـل الأرحـام ، وقم الليـل والنـاس نيـام ، تدخل الجنة بسلام » .

فههنـا يثبت المصطفى صلوات الله عليـه أن أصل الأشيـاء هـو المـاء ، ولا شك أن الدخان ناتج عن الماء كما سياتي ذلك علمياً .

هذه أقوال المفسرين في خلق السموات والأرض ، وأصل الكون ، فماذا عن العلم الحديث ؟

توصل العلماء خلال أبحاثهم ، ومشاهداتهم لمظاهر الكون إلى أن المادة كانت جامدة وساكنة في أول الأمر . وكانت في صورة غـاز سـاخن كثيف متماسـك ، وقـد حـدث انفجـار شـديـد في هـذه المـادة قبل ....,....,....,...ه سنـة على الأقل ، فبدأت المادة تتمدد ، وتتباعد أطرافها ، ونتيجة لهذا أصبح تحرك المـادة أمراً حتمياً لابد من استمراره طبقاً لقوانين الطبيعة التي تقول : إن قوة الجاذبيـة في هذه الأجزاء من المادة تقل تدريجياً بسبب تباعدها ، ومن ثم تتسع المسافـة بينهما بصورة ملحوظة[١] .

فكذلك يجب تفسير كلمـة « دخـان » إذ يتكون الـدخـان عمومـاً من قوام غازي ، حيث تعلق به بشكل أكثر ، أو أقل ثبوتـاً جزئيـات دقيقـة قـد تنتمي إلى حالات المواد الصلبة ، أو حتى السـائلـة مع درجـة في الحرارة قـد تقل ، أو تكثر[٢] .

---

(١) انظر الإسلام يتحدى ص ١٢٦ مع التحفظ بهذه الأرقام من الأعداد ، لأن مثل هـذا التـاريخ لا يعلمه إلا الله وحده .

(٢) انظر دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٦٢ .

فهم يرون أن عملية تشكل الكون من تكاثف للسديم الأولى ، ثم انفصاله إلى أجزاء كونت في الأصل كتلاً مجرتية ، ثم بدورها تجزأت هذه الأخيرة إلى نجوم صنعت منتجات ثانوية هي الكواكب ، قد تركت هذه الانفصالات المتعاقبة بين مجموعات العناصر الرئيسية ما يمكن تسميته بالبواقي ، وهذه البواقي تسمى علمياً بالمادة الكونية المنتشرة بين النجوم ، وقد وصفت بأشكال مختلفة « سدم براقة » أو « سدم مظلمة ذات كثافة » أو « مادة منتشرة بين النجوم »[١] .

وهم يشاهدون هذه الكتل الكثيرة اليوم بمراقبهم القوية من الأرض ، فهم يسمون « الدخان » « سدماً » أو « بخاراً مائياً » أو « مادة منتشرة » ولا مشاحة - كما يقولون - في الاصطلاح .

فالعلم الحديث إذن يقرر أن أصل الأشياء هو « الدخان » فالرتق كما جاء في القرآن الكريم في الأصل كان لمادة « الدخان » ثم حصل الفتق بينهما بخلق كل واحدة منفصلة عن الأخرى فالرتق في اللغة :السد ،والفتق : الشق ، قال ابن كثير « كان الجميع متصلاً بعضه ببعض ، فتراكم في ابتداء الأمر ، ففتق هذه من هذه »[٢] .

وقال إسماعيل بن أبي خالد سألت أبا صالح الحنفي عن قوله ﴿ **أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما** ﴾ قال كانت السماء واحدة ، ففتق منها سبع سموات ، وكانت الأرض واحدة ، ففتق منها سبع أرضين وهكذا قال مجاهد[٣] ، ومثله الجلال السيوطي[٤] على أن الضمير في كانتا لا

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٢) انظر ابن كثير ٣ / ١٧٧ .

(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) انظر الجلال السيوطي .

يعود على السموات والأرض مجتمعة ، وإنما يعود على السموات منفردة ، وعلى الأرض منفردة وأرى أن ذلك مقبول كذلك ، إلا أني أرى على هذا القول أن السموات كانت كتلة واحدة ، فجعل الله منها سبع سموات منفصلة عن بعضها البعض ، وأن الأرض كانت متصلة منضمة الأجزاء في أول خلقها قبل أن تصبح قارات ، ثم فتق الله بينها بالمحيطات والبحار ، فأصبحت بعد ذلك قارات ، وشبه قارات ، وجزر ،ولولا وجود هذه البحار والمحيطات ، لاستحالت الحياة فوق سطحها ،لا أنها سبع أرضين منفصلة عن بعضها البعض كما فهم بعض المفسرين القدامى ، وهذا شيء أصبح الآن حقيقة لا جدال فيه ، وسيأتي مزيد كلام في ذلك . (انظر شكل (١) (٢) (٣)) .

وعلى هذا القول لا يمنع من أن أصل الكون لكه مادة واحدة (وهي الدخان) كما ذكرنا ذلك بالتفصيل . أي أن الله فتق الأرض من السماء ، ثم فتق السموات إلى سبع وفتق الأرض إلى قارات بالفصل بينها بالمحيطات .

أما النظرية القائلة بأن الأرض كانت جزءاً من الشمس ، ثم انفصلت عنها ، وعلى مرور الزمن برد سطحها ، وبقي باطنها على ما كان ، فهي مجرد تخمين ، وسيأتي تحقيق في هذه المسألة بإذن الله تعالى .

ولا يفوتنا أن نقول إن من يقول إن الأرض خلقت قبل السماء ومن يقول إن السماء خلقت قبل الأرض هو ظني الدلالة فلا حرج على من يقول بالقول الأول ، أو بالقول الثاني كما ظهر له من النصوص . والله أعلم .

☆ ☆ ☆



الشكل الأول : يبيّن حالة الأرض في بداية أمرها ، قبل ثلاثمائة مليون سنة



الشكل الثاني : يبين حالة الأرض أثناء عملية انتشار وتباعد قاراتها .
وقد بدأت هذه العملية قبل خمسين مليون سنة



الشكل الثالث : يبين حالة الأرض بعد أن استقر أمرها ، قبل مليون سنة

« تكوين الأرض والعلم الحديث »

هناك نظرية تقول إن الأرض انفصلت من الشمس أثناء دورانها الشديد حول نفسها - كما أسلفنا - وابتعدت عنها ، وبمرور الزمن برد سطحها وأصبح صالحاً للحياة ، أما باطنها ، فلا يزال ملتهباً ، وما هذه البراكين في مناطق محدودة من العالم إلا ناتجة عن ذلك ، حيث إن هناك أماكن تسمح بخروج اللهب المتوهج ، وقد قال بهذه النظرية بعض العلماء من المسلمين المعاصرين[١] .

وقد بينت أن هذه النظرية مبنية على الحدس ، والتخمين لا أكثر ولا أقل ، وإني أرى أن هذه النظرية مخالفة للحقيقة من وجوه :

١ - أن الله تعالى قال في كتابه الكريم ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء**﴾ . فالآية تثبت أن خلق الأرض مستقل ، لا علاقة له بالشمس ولو كان الأمر كذلك ، لذكره سبحانه في كتابه العزيز صراحة وليس هناك ما يمنع . كما قال في الآية الأخرى ﴿ **أَوَلَمْ ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ، ففتقناهما ..** ﴾ .

٢ - أن الله تعالى قد ذكر في بدء خلقه أنه خلق الأرض والسموات ولم يذكر الشمس بلفظها معها ، وهذا يعني أن خلق الأرض سابق على خلق الشمس والنجوم ، والكواكب الأخرى .

٣ - كيف يثبتون أن هذه النظرية حقيقة مالم يتحصلوا على أجزاء من الشمس ، ليحللوا ذلك هل هي فعلاً مطابقة لمادة الأرض أم لا ، لكي يبرهنوا على

---

(١) انظر مثلاً الأستاذ محمد الغمراوي ، ومحمد الكرداني في « الإسلام في عصر العلم » انظر ص ٣٥٦ .

أنها جزء من الشمس ؟

٤ ـ إذا كانت الأرض جزءاً من الشمس ، والشمس كما نعرف مادتها ملتهبة دائماً وباستمرار ، ومضيئة في حد ذاتها ، فما المانع من أن تكون الأرض كالشمس ، لأنها جزء منها . وأخيراً تبين أن العلماء غير متفقين على نشأتها ، وعن أصلها[١] .

ويرى علماء الطبيعة أن الأرض عبارة عن كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها بسرعة مقدارها ألف ميل في الساعة ، فتدور دورة كاملة كل ٢٤ ساعة ، وينتج عن ذلك الليل والنهار ، كما أنها تدور حول الشمس ، فينتج عن ذلك تتابع الفصول ، وذلك يؤدي إلى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح هذه الأرض ، كما يزيد من اختلاف أنواع النبات أكثر مما لو كانت ساكنة .

ويحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة يمتد حولها إلى ارتفاع كبير قد يزيد على (٥٠٠ ميل) ويبلغ الغلاف المذكور من الكثافة درجة تحول دون وصول الملايين من الشهب القاتلة إلى الأرض منقضة بسرعة ثلاثين ميلاً في الثانية ، كما أن الغلاف الأرضي الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة ، لكي تكون صالحة للحياة ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات ، فيتكاثف ، ثم يصبح مطراً ، ولولاه ، لأصبحت الأرض جرداء لا قيمة لها ، وقد قدمنا ذلك .

ويرون أن الأرض تبعد عن الشمس بمقدار ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كم تقريباً ، وهذه المسافة شاسعة بالنسبة إلى الكائن الإنساني ولكن تصغر جداً إذا قورنت

---

(١) انظر الموسوعة العلمية الحديثة ص ٨ (الأرض) .

بمتوسط المسافة التي تفصل عن الشمس أكثر الكواكب بعداً عنها في المجموعة الشمسية .

كما يرون أن حجم الأرض أقل بكثير من حجم الشمس ، ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع الاحتفاظ بكثافتها ، لتضاعفت جاذبيتها للأجسام عليها ١٥٠ ضعفاً ، ولنقص ارتفاع الغلاف الجوي إلى أربعة أميال ، ولأصبح تبخر الماء مستحيلاً ، ولارتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على ١٥٠ كيلو جراماً على السنتيمتر المربع ولوصل وزن الحيوان من رطل واحد إلى ١٥٠ رطلاً ولو أزيحت إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس لنقصت كمية الحرارة الناتجة عن الشمس إلى ربع كميتها الحالية وحصل اختلاف في الليل والنهار ، وبالتالي تتجمد الأشياء على سطح الأرض ، وتنعدم الحياة كلية ، ولو نقصت المسافة بين الأرض ، والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن ، لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال ما هي عليه الآن وبالتالي لأصبحت الحياة غير ممكنة إطلاقاً على وجه الأرض .

ولو أن الأرض كانت صغيرة في حجم القمر ، ولو كان قطرها ربع قطرها الحالي لما احتفظت بالغلافين :الجوي والمائي، اللذين يحيطان بها ، ولصارت درجة الحرارة فيها لا تتحملها الأحياء ، وبالتالي الموت .

ولو كانت قشرة الأرض أكثر سمكاً بمقدار عشرة أقدام من سمكها الحالي ، لما وجد الأكسجين ، وبالتالي عدم وجود الحياة على ظهرها .

ولو كانت البحار أعمق بضعة أقدام أكثر من القاع الحالي ، لانجذب (ثاني أكسيد الكربون) (والأكسجين) وبالتالي لاستحالت الحياة على ظهرها .

من هذا الذي ذكره علماء الطبيعة تدرك مدى قدرة الخالق العظيم الذي

خلق كل شيء بمقدار ، لا يزيد ، ولا ينقص ، ولو شيئاً قليلاً ليحافظ هذا الكون على سيره في الكون ، واستمراره في أداء عمله وليحافظ على سر الوجود على النحو الذي أراده له خالقه ، ومدبره ومسيره ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمقْدَار ﴾[١]

أما القول عن كون الأرض كروية ، فقد قال بها علماء مسلمون من قبل منهم المفسر النيسابوري[٢] والزمخشري[٣] .

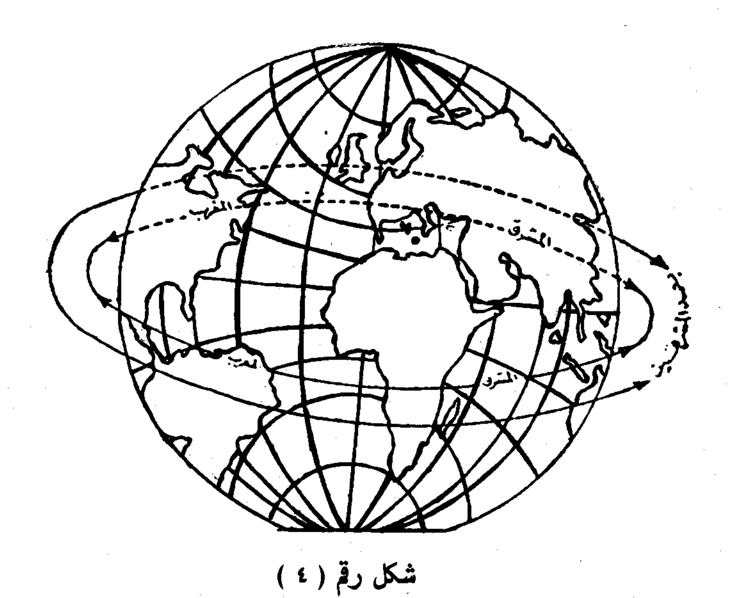
وقد استدل بعض العلماء المعاصرين من المسلمين على كروية الأرض بقوله تعالى : ﴿ **ياليْتَ بيني وبَيْنَكَ بَعْدَ المَشْرِقَين** ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **رَبُّ المَشْرِقَيِن وَرَبُّ المَغْرِبين** ﴾[٥] فإذا كانت الأرض مسطحة يستحيل أن يكون لها مشرقان ومغربان ، ولا يمكن تصور ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية الشكل (انظر الشكل رقم : ٤)

واستدلوا كذلك بقوله تعالى : ﴿ **يُكَوِّرُ الليْلَ على النَّهارِ ويُكَوِّرُ النَّهارَ على الليْلِ** ﴾[٦] فالتكوير - كما جاء في كتب اللغة - مأخوذ من كوَّر العمامة على رأسه أي لاثها ، فكذلك الحال في تكوير الليل للنهار ، وتكوير النهار لليل ، وهو

---

(١) الرعد آية : ٨ .
(٢) انظر النيسابوري بهامش ابن جرير ١ / ١٧٤ .
(٣) انظر الكشاف ١ / ٢٣٤ .
(٤) الزخرف آية : ٣٨ .
(٥) الرحمن آية : ١٧ .
(٦) الزمر آية : ٥ .



شكل رقم (٤)

قول الراغب كما نقل عنه الشوكاني قال « تكوير الشيء إدارته ، وضم بعضه إلى بعض ككور العمامة وقال قتادة والضحاك وغيرهما معني تكوير الليل النهار تغشيته وهو معني قوله ﴿ **يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً** ﴾(١) .

ثم نأتي لقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعلَهُ سَاكناً ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمْسَ عَليه دَليلاً * ثُمَّ قَبضْنَاهُ إِليْنَا قَبْضاً يَسِيراً** ﴾(٢) . فإذا تناولنا هذه الآية بالشرح ، والتمعن في معانيها ، فسنجد كالآتي : ألم تر يامحمد إلى قدرة ربك وعظيم سلطانه : بأن جعل الظل ممدوداً وهو يتحرك ، ولو شاء لجعله ساكناً لا يتحرك ، ثم جعلنا الشمس دليلاً على امتداده ، وحركته طوال النهار ، وهي طالعة ، ثم أخذناه شيئاً فشيئاً حتى تلاشى ، وزال . هذا بالنسبة لمعنى الآية .

---

(١) انظر فتح القدير ٤ / ٤٥٠ .

(٢) الفرقان آية : ٤٥ ، ٤٦ .

أما الظل المذكور ، فقد اختلف العلماء فيه ، فمنهم من رأى أنه من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، لأن ذلك أطيب الأوقات وهو مروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والحسن ، وأيوب بن موسى ، وإبراهيم التيمي ، والضحاك ، وأبي مالك الغفاري ، وأبي العالية وسعيد بن جبير .

والقول الثاني هو ظل الأشجار ، والجبال ، والبنيان وغير ذلك ، مع وجود الشمس ، وهو اختيار شيخ الإسلام - كما نقل عنه الألوسي - واعترض على القول الأول ، وقال : إنه غير سديد ، إذ لا ريب في أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل ، وبالغ حكمته فيما يشاهدونه ، فلابد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه ، وبين الشمس جسم مخالفته لما في جوانبه من مواقع ضِحِّ الشمس[١] .

وإني أؤيد هذا الرأي ، إذ لا داعي أبداً إلى صرفه لغيره ، فكتب اللغة عندما تتناول الكلام عن الظل ، فإن المعتمد عند أهل اللغة هو الظل المعروف لسائر الناس ، وإن كانت هناك أقوال أخرى ، ولكنها ليست معتمدة لذلك نرى السيد قطب رحمه الله في تفسيره لا يذكر سوى هذا القول[٢] .

ثم ما المراد بقوله تعالى : ﴿ **وجعلنا الشمس عليه دليلاً** ﴾ فمن يدل على تحرك الثاني منهما ؟ هل الشمس تدل على حركة الظل ، أو الظل يدل على حركة الشمس ؟

نص الآية الكريمة أن الشمس دليل على الظل ، فمعنى ذلك أن الظل هو الذي يتحرك بتحرك الأرض في مواجهة الشمس فلو رأينا مثلاً ضوءاً في السماء

---

(١) الألوسي ٧ / ١٩ / ٢٦ .

(٢) انظر في ظلال القرآن ٦ / ١٦٩ .

ليلاً يتحرك نحو الشرق ، لعرفنا بداهة أن هناك طائرة في الجو تجري نحو الشرق ، فهل هنا وجود الضوء دليل على تحرك الطائرة ، أم وجود الطائرة دليل على تحرك الضوء ؟ لاشك هنا أن الضوء دليل على تحرك الطائرة ، وليس العكس ، وهكذا الحال في دلالة الشمس على تحرك الظل وهذا لا يعني أن الشمس لاتتحرك كما سيأتي .

ثم لو تمعنا في قوله ﴿ **ساكناً** ﴾ لعلمنا أن « السكون » يقابله « التحرك » ومعناه:جلت قدرته جعل الظل متحركاً بتحرك الأرض ، ولو شاء لجعله ساكناً لا يتحرك .

وهذا المعنى أشار إليه الألوسي نقلاً عن الزمخشري ، فقال : إنه قد أطلق (مد الظل) على الحركة مجازاً من باب تسمية الشيء باسم ملابسه ، أو سببه ، كما قرره الطيبي ، وذكر أنه عدل عن « حرّك » إلى « مدّ » مع أنه أظهر من « مد » .. » .

ونحن نرى أن ذلك حقيقة لا مجازاً كما فهم الزمخشري ، وذلك بعد ما تبينت الحقيقة للعالم أجمع في هذا العصر ، وعندما قالوا بالمجاز ، فإنهم استبعدوا حركة الأرض .

أما قوله عدل عن « حرك » إلى « مد » فإن القرآن لم يعدل عن الحركة فالحركة مفهومة من قوله ﴿ **ساكناً** ﴾ وكل إنسان ذو عينين يرى ، ويدرك تحرك الظل ، كما يرى ويدرك امتداده بدرجات متفاوتة يومياً ، فهو عند طلوع الشمس يمتد إلى ما شاء الله أن يمتد ، ثم يتقاصر شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الصفر ، ثم يبدأ بالامتداد من السنتيمتر الواحد بعد الزوال إلى أن يصل إلى ما شاء الله أن يصل إليه من الامتداد ، ثم ينتهي . فثبوت الحركة

والامتداد للظل شيء لا يخفى على كل إنسان ، فلماذا إذن نقول إنه عدل عن الحركة إلى الامتداد ؟

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره** ﴾ . فمعنى الآية الكريمة أن الريح تهب ، وتتحرك عبر البر . والبحر بقدرة الله تعالى ، وهو قادر على إسكانها ، وعدم حركتها لو شاء ولكن حكمته ورحمته بالخلق اقتضت ذلك . لذلك نرى السيد قطب رحمه الله تعالى يشرح هذا المعنى شرحاً وافياً ، موضحاً دلائل قدرة الله العظيم في هذا الكون ، وكيف أن الشمس تدل على حركة الظل ، وبالتالي حركة الأرض[1] .

أخرج ابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهلة** ﴾ قال : نزلت في معاذ بن جبل ، وثعلبة ابن عثمة ، وهما رجلان من الأنصار ، قالا : يارسول الله ما بال الهلال يبدو ، ويطلع دقيقاً مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ، ويستوي ، ثم لا يزال ينقص ، ويدق حتى يعود كما كان ، لا يكون على حال واحد ؟ فنزلت الآية ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ** ﴾[2] .

والصحابيان الجليلان ، وغيرهما سألوا عن تغير القمر من حيث زيادته ، ونقصانه ، وكبر حجمه ، وصغره ، ولكن الآية ، أفادتهم بغير ما يقصدون ، فبينت أن الأهلة هي مواقيت للناس لتوقيت عباداتهم ، ومعاملاتهم كالصوم ، والفطر ، والحج ، ومدة الحمل ، والعدة ، والإجارات .. ومثله قوله تعالى ﴿ **لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ** ﴾[3] .

---

(١) انظر في ظلال القرآن ٦ / ١٧٠ .

(٢) البقرة آية : ١٨٩ .

(٣) يونس آية : ٥ .

قـال المفسرون هـذا من الأسلـوب الحكيم ، وهـو تلقي المخـاطب بغير مـا يترقب تنبيهاً لـه على أنـه هو الأولى بـالقصـد ، لأنهم سـألوا عن أجرام الأهلـة بـاعتبـار الـزيـادة والنقصـان فـأجيبـوا بـالحكمـة التي من وراء ذلـك النقصـان والزيادة لأن ذلك أولى بأن يقصده السائل ، وأحق بأن يتطلع إليـه ، ويصل إلى علمه .

هذا ما قاله المفسرون رحمهم الله تعـالى في خصوص هـذه الآيـة الكريمـة ، وتعليل العلماء رحمهم الله تعالى بذلك في محله : حيث إنه عليه الصلاة والسلام لم يعلـل لهم زيـادة ونقصـان القمر ، ومـا هـو السبب من وراء ذلـك ، ولكن الجواب الحقيقي كان خافياً على البشر ، وقد يكون خافياً على الرسول صلوات الله عليه نفسه ، لأن ذلك من علم الله الخالق وحـده ، وقـد يكون قـد أطلعـه الله على ذلك . ولكنه لم يحدث بذلك لما سيترتب على ذلك من نتـائج لا تـأتي بخير .

والعلماء قـد قـالوا إن مـا ذكرتـه الآيـة ليس هو الجواب المبـاشر للسؤال ، ولكن بمـا يتعلـق بـه من الحكمـة من زيـادة ونقصـان القمر في كل شهر ، ولكنهم لم يصل إلى تفكيرهم أبـداً ـ كما هـو واضـح اليـوم بـأن السبب في ذلـك حقيقـة هـو وقـوع الأرض بين الشمس والقمر في أوضـاع مختلفـة ، وبـالتـالي سقوط ظلهـا على أجزاء من القمر ، فيطمس تلـك الأجـزاء ، وتبقى الأجـزاء الأخرى معرضة لأشعة الشمس ، فتبدو واضحة جلية وهـكذا في كل شهر .

والواقع أن القرآن العظيم في تعاليمه ، وتوجيهاته ، وأساليب إقنـاعـه للبشر حكيم للغاية ، وأنه يضع دائماً الأمور في نصابها أو في مكانها المناسب ، ويعرف أين موضع الداء ، ليصرف له الدواء المناسب .

فتصور أيها القارىء الكريم لو أن الآية ذكرت لهم ما هو واضح اليوم ، ومحقق من كون الأرض تدور في الفضاء ، وهي في دورانها تقع بين الشمس ، والقمر ، ويحصل ما يحصل للقمر فماذا كان يقول الحاقدون ، والمنافقون عن القرآن ، ونبي الإسلام وكم من الخلق يرتدون عن الإسلام بعد دخولهم فيه ! لأنهم لا يعرفون لذلك معنى ، ولا يدركون لذلك فهما ، ومثل ذلك لو قيل للناس قبل قرنين من الزمان أن طائرة تزن كذا طن من الحديد ، تحمل كذا طن من الأمتعة ، وكذا عدد من الناس ، وهي تقطع المسافات الطويلة في ساعات قليلة وهي معلقة بين السماء والأرض الساعات الطوال .

أو أن إنساناً قد مات منذ عشرين عاماً ، ولكنه يظهر الآن على الشاشة يتكلم ، ويتحرك ، أو يأكل ويشرب ، من كان يصدق مثل ذلك النبأ ؟

ألا يقولون أن ذلك الكلام مجرد عبث ، وعري تماماً عن الواقع والحقيقة .

أما اليوم فذاك شيء طبيعي لدى كل الناس ، ولا ينكره أحد لأنه الملموس ، والمرئي لكل الناس ، فكذلك الحال في ذلك الوقت لو نزلت الآية بالجواب مباشرة عن السؤال المطروح وبينت الحقيقة ، لما وسع المنافقين ، والحاقدين على الإسلام إلا بأن يقولوا كل ما لديهم ضد الإسلام والمسلمين ، ولقامت الفتنة ، وعظمت البلية .

إن الله تعالى قد أنزل هذا القرآن العظيم على نبيه الكريم ، ورغم ما فيه من حقائق واضحة ، وبراهين دامغة ، وبينة لكافة البشر وعلى مرأى ، ومسمع منهم ، فإنهم قالوا إن هذا إلا سحر وكهانة ، بل قالوا إن صاحبه مجنون ، وعندما أخبرهم بخبر الإسراء ، وهذا شيء بسيط في عالم القدرة الإلهية ، فإنه

لايعجزه سبحانه شيء ، وهو الخالق صاحب القوة العظيمة ، وله ملكوت السماوات والأرض ـ قامت قيامتهم ، واتهموه بشتى التهم وسبوه بأنواع السباب رغم ما أتى به من براهين مادية تدل على صدقه فيما يقول ، وكذبوه ، ولم يلتفتوا إلى قوله إلا الصديق رضي الله عنه ، فإنه عندما سمع الخبر ما وسعه إلا أن يبادر إلى تصديقه ، وأن يقول قولته ، فسمي بذلك الصدّيق .

ثم نأتي لقوله تعالى : ﴿ **والأرضَ بعدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** ﴾[1] فمعنى دحا : بسط ، من دحا يدحو دحواً ، أو دحى يدحي دحياً ، كذا قال بعض المفسرين[2]، وكذلك معناه في اللغة ، ولكن القرطبي يأتي بمعنى آخر لدحا : فيقول : وقيل : حرثها وشقها ، وقيل مهدها للأقوات[3] . ونقل الطبري نفس المعنى عن ابن زيد وهو قول ابن عباس[4] .

وإني أرى أن التفسير الأخير أوفى للمطلوب ، وهو أن معنى « دحاها » جعلها قابلة للحرث ، والشق ، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى مباشرة ﴿ **أخرج منها ماءها ومرعاها** ﴾ فقوله أخرج منها ماءها ، ومرعاها بمثابة التفسير والبيان لدحاها ، فخروج الماء والمرعى يقتضي الشق والحرث ، وحتى لو قلنا أن معنى (دحاها) بسطها فإنه لا يتعارض مع كون الأرض كروية الشكل ، فمعنى بسطها ، أي جعلها قابلة للسكنى عليها ، فهي مبسوطة لمن يستقر على ظهرها ، ويذهب ويأتي ، وينام .. كما وضحت الآيات الأخرى ذلك البساط :

---

(١) النازعات آية : ٣٠ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٨ / ٢٠٥ وفتح القدير ٥ / ٣٧٨ والطبري ٣٠ / ٢٩ .

(٣) انظر القرطبي ١٨ / ٢٠٥ وفتح القدير ٥ / ٣٨١ .

(٤) انظر الطبري ٣٠ / ٣٠ .

قال تعالى : ﴿ **الذي جَعَلَ لكم الأَرْضَ فِراشاً** ﴾[١] ﴿ **وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ بسَاطاً لِتَسْلُكوا مِنها سُبُلاً فِجَاجاً** ﴾[٢] ﴿ **وَالأَرْضَ فَرشْنَاهَا فَنِعْمَ الماهِدُون** ﴾[٣] .

وهذا المهاد ، أو البساط الذي مد ، وفرش هو القشرة الأرضية التي مهدها سبحانه لبني آدم ، وجعلها صالحة للسكنى عليها و الذهاب ، والإياب .

فقد قال العلامة النيسابوري في تفسيره « وليس من ضرورة الافتراش أن يكون سطحها مستوياً كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذلك ، أو على شكل الكرة ، فالافتراش غير مستنكر ، ومدفوع لعظم جرمها ، وتباعد أطرافها »[٤] .

وإن كانت الأرض أصغر بكثير من الشمس ، وكذلك من بعض الكواكب ، إلا أنها ستظل حقاً محور العجائب ، والغرائب في خلق الله تعالى ، لما فيها من مخلوقات لا تعد ، ولا تحصى من المكروب والذرة ، اللذين لا يريان بالعين المجردة حتى أكبر شيء فيها .

ونحن نرى أن العلم الحديث كل يوم يكشف الجديد ، والعديد من الأسرار ، سواء على ظهرها ، أم في باطنها ، أم في غلافها الجوي وهذا هو السر العظيم في اعتقادي في أن الله تعالى خلقها أول الخلق ، واهتم بها كل ذلك الاهتمام ، أما الشمس ، ومع أنها تكبر الأرض بكثير ، لكنها لا تتعدى كونها

---

(١) البقرة آية : ٢٢ .

(٢) نوح آية : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) الذاريات آية : ٤٨ .

(٤) انظر تفسير غرائب القرآن ، ورغائب الفرقان ١ / ١٧٤ .

قرصا كبيراً من اللهب مجردة من كل حياة ، وأما القمر ، فإن الرواد قد أثبتوا بأنه مجرد من الحياة البتة ، ويشتمل على التراب ، والجبال ، والوديان دون أن يكون لذلك أية قيمة تذكر حتى الآن . (انظر شكل (٥)) وأما الكواكب الأخرى ، فلم يعلم حتى الآن ما فيها وخالقها أعلم بها .



شكل رقم ٥

سطح القمر كما يمكن للرحالة الفضائيين أن يروه . ويمكن أيضاً للأرض أن ترى في الفضاء .

وسيظل الإنسان حقاً هو ذلك الإنسان العجيب الذي اختاره سبحانه ، لأن يسكن الأرض ، ويعمرها ، وعلمه الكثير والكثير من علمه الواسع العظيم ، وسيصدق عليه بأنه خليفته في أرضه ، وسيبدو واضحاً كل ذلك الاهتمام بذاك الإنسان من خالقه ، ويتضح ذلك السر العظيم في قوله تعالى للملائكته ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدمَاءَ وَنحنُ نُسَبّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعلَمُ مَالاَ تَعْلمون . وعَلَّمَ آدمَ الأَسْمَاءَ كَلَّها ثُمَّ عرَضَهمْ عَلى الملائكَةِ فَقَال أنبئُوني بأَسْمَاءِ هَؤلاءِ إِنْ كُنْتُمْ**

صادِقِين ﴾[1] .

ونـأتي لقولـه تعـالى : ﴿ **اللهُ الـذي خَلَقَ سَبْـعَ سَمـواتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهنَّ** ﴾[2] .

لقـد اختلف المفسرون في تفسير ﴿ **ومن الأرض مثلهن** ﴾ مـع اتفـاقهم أن الله تعالى خلق سبع سموات طباقاً للنص الصريح في ذلك فمنهم من رأى أن الأرض مثل السموات أي في العدد ، لأن الكيفية والصفة مختلفة بـالمشـاهـدة ، والإخبـار ، فتعين العـدد ، وقيل ﴿ **مثلهن** ﴾ أي في غلظهن ، ومـا بينهن ، وقيل سبع إلا أنه لم يفتق بعضها من بعض كالسماء وهو قول الضحاك[3] .

وجاء في تفسير النيسـابوري ﴿ **مثلهن** ﴾ أي في الخلق لا في العـدد وقيل هن الأقاليم السبعة والدعوة شاملة لجميعها وقيل إنهـا سبع طبقـات بعضهـا فوق بعض لا فرجة بينها وهـذا يشبـه قول الحكـاء : منهـا طبقـة هي أرض صرفـة تجاور المركز ، ومنها طبقة طينية تخالط سطح الماء من جانب التقعير ، ومنهـا طبقة معدنية يتولد منها المعادن ، ومنها طبقة تركبت بغيرهـا ، وقـد انكشف بعضهـا ، ومنهـا طبقـة الأدخنـة ، والأبخرة على اختـلاف أحـوالهـا أي طبقـة الزمهرير ، وقد تعد هذه من الهواء[4] . ولكن في هذا القول لم تبـد السبع واضحـة ، والشيء العجيب أن ما قاله النيسابوري هنا يشبه إلى حد كبير ما قاله علمـاء الجولوجيـا في وقتنا الحاضر . والذي سيأتي الكلام عليه .

---

(١) البقرة آية : ٣٠ ، ٣١ .

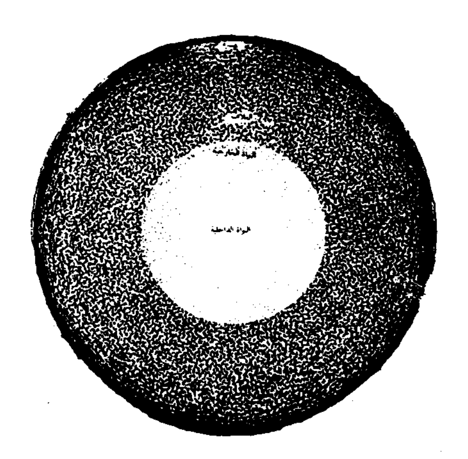
(٢) سورة الطلاق آية : ١٢ .

(٣) انظر تفسير القرطبي ١ / ٢٥٨ و ١٨ / ١٧٥ .

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٨ / ٩٤، ٩٥ بهامش ابن جرير الطبري .

هذا ما أورده المفسرون القدامى من المسلمين بخصوص طبقـات الأرض ، فـا هو رأي العلم الحديث في ذلك ؟

يرى علماء الجـولـوجيـا أن قلب الأرض ، أو نـواتهـا كرة صلبـة من معــدني النيكل والحديد سمكها ٦٧٠٠ كيلو متر تقريباً ، وأن هـذه الكتلـة المعـدنيـة يضغـط بعضهـا على بعض بقوة عظيمة من جميع الجهات ، بحيث إن القلب أو النواة الداخلية تقع تحت ضغـط شديد ، ولا يعرف بالتأكيد ما يحدث لهذا المعـدن الشـديـد الحرارة ، والمعرض لمثل هـذا الضغـط الشـديـد ولكن الاعتقـاد الغـالب هو أن قلب الأرض لابـد وأن يكـون شـديـد الصلابة مع الثقل الشديد ، ويقولون أن الجزء الخارجي منه ذائب ، فلذلـك هو متحرك كما يقولون أن حول هذه النواة طبقـات من مواد مختلفـة تتكون منهـا الصخور ، وبعض هـذه الطبقـات صلب ، وبعضهـا كالمعْـدنِ الـذائب ، والمرجح كما يقولـون أن سمـك هـذه الطبقـات يبلغ نحو ٢٩٠٠ كيلو متر ، وهي مـا تسمى غـلافـاً ، كما تحيـط بـالغـلاف قشرة رقيقة جداً بالنسبة لحجم الأرض وأرق ما تكون تحت المحيطات ، حيث يتراوح سمكها ما بين خمسة وعشرة كيلو مترات ، وأكثف ما تكون تحت اليـابسـة ، ويتراوح من ٢٩ ، ٤٨ كيلو متراً ، والقشرة نفسها كذلك تتكون من طبقـات لمواد مختلفـة ، وفوقهـا جميعـاً تقع الطبقة الخارجية التي يعيش عليها البشر . (انظر شكل (٦))



شكل رقم (٦)

فبهذا قد أثبتوا للأرض أربع طبقات متلاصقة لا يفصل بعضها عن بعض فاصل كما هو موضح في الرسم وكل ذلك في اعتقادي مبني على الحدس والتخمين لا غير ، لأنه ليس من الممكن أن يعرف ما بداخل الأرض مالم يصلوا إلى كل أجزائها التحتية ، فيعرفوا ذلك حقيقة ، ولكن لو أراد الله لهم بأن يصلوا إلى أعماقها ، فسيتبين لهم أن الله خلق سبع أرضين كما وضحت الآية الكريمة .

وقد أفاد الدكتور محمود سراج الدين عفيفي[1] أن الدراسات « الجيوفزيائية » أثبتت أن الأرض مكونة من :

١ ـ الغلاف الهوائي ..

٢ ـ الغلاف المائي ..

٣ ـ القشرة الأرضية ..

٤ ـ طبقة من السلكيات الخفيفة والثقيلة ..

٥ ـ طبقة من الأكاسيد ، والكبريتيدات .

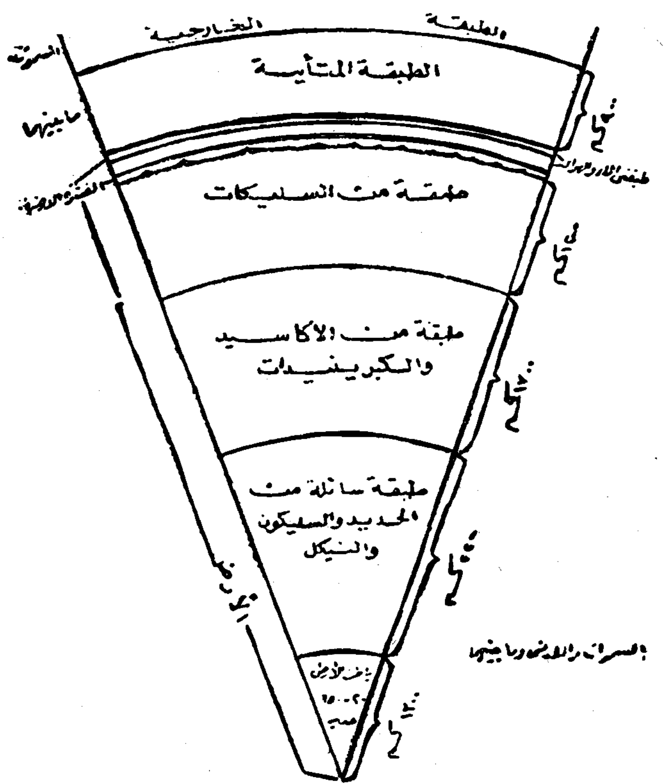
٦ ـ سائل من الحديد والنيكل ..

٧ ـ نواة الأرض المكونة أيضاً من الحديد ، والنيكل .. (انظر الشكل (٧)) .

وأنا أؤيد القول القائل إنها سبع أرضين متلاصقة بعضها لبعض لا يفصل بينها فاصل وذلك من وجوه :

أولاً : أن الله تعالى قد ذكر أنه خلق سبع سموات طباقاً ﴿ **الذي خَلَقَ**

(١) انظر (قوانين الله وليست قوانين الطبيعة ص ١١٥).



شكل رقم (٧)

سَبْعَ سموات طِبَاقاً ﴾[1] فنص على الطبقات ، كما في الآيات الأخرى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كيفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سمواتٍ طباقاً ﴾[2] .

﴿ وَلَقَد خَلَقْنَا فَوقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وَما كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلين ﴾[3] .

﴿وبَنَيْنافَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً * وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ﴾[4] ومعنى

---

(١) الملك آية : ٣ .
(٢) نوح آية : ١٥ .
(٣) المؤمنون آية : ١٧ .
(٤) النبأ آية : ١٢ ، ١٣ .

طبقات أي ليست متلاصقة ، أما الأرض فلم يرد فيها كلمة طباقاً ، أو ما في هذا المعنى .

ثانياً : أن الله قد ذكر الأرض بلفظ المفرد والسموات بلفظ الجمع في آيات أخرى ، كما في قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **هُوَ الذي خَلَقَ لَكُمْ مَا في الأَرْضِ جَميعاً ثُمَّ اسْتَوى إلى السماءِ فَسَوَّاهنَّ سَبْعَ سمواتٍ** ﴾[1] وقال : ﴿ **الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ** ﴾[2] ﴿ **الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ وما بينهما في سِتَةِ أيام** ﴾[3] .

فنرى أن الله تعالى قد أتى بالأرض بلفظ الإفراد ، والسموات بصيغة الجمع ، وبين عددها ، مما يدل والله أعلم على أن الأرض وحدة واحدة متماسكة لا يفصل بينها شيء (وإن كانت سبع أرضين) وأن السماوات سبع سموات طباقاً مفصولة عن بعضها البعض كل سماء مستقلة بذاتها .

ثالثاً : يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتكْفُرون بالذي خَلَقَ الأَرْضَ في يَوْمين وتَجْعَلُون لَهُ أنداداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِين وَجَعَلَ فِيها رَوَاسي مِنْ فَوْقِها وَبَارَكَ فِيها وقَدَّرَ فيها أَقواتَها في أَربَعَةِ أَيامٍ سواءً للسائِلين ثُمَّ اسْتَوىٰ إلى السَّماءِ وَهي دُخانٌ فَقَالَ لَها وللأَرْضِ ائْتيَا طَوْعاً أو كَرْهاً قَالَتَا أَتيْنَا طائعين فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمواتٍ في يَوْمين وَأَوحىٰ في كلِّ سماءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السماءَ الدنيا بمَصَابيحَ وَحِفْظاً ذلك تَقْديرُ العَزيزِ العَليم** ﴾[4] فقوله تعالى ﴿ **وأوحى في كل**

---

(١) البقرة آية : ٢٩ .
(٢) الأنعام آية : ١ .
(٣) السجدة آية : ٤ .
(٤) فصلت آيات : ٩ - ١٢ .

سماء أمرها ﴾ يدل على أن كل سماء مستقلة بذاتها يفصلها عن الأخرى فاصل عكس الأرض . ثم تمعن معنى قوله تعالى في الآية نفسها ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ بصيغة الإفراد ، وذلك عندما كانت السماء مادة واحدة (من الدخان) وقبل أن تقضي سبع سموات .

كما تذكر السماء بصيغة الإفراد ، ويراد بها العلو لا السموات السبع كما في قوله تعالى : ﴿ **وأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسكَنَّاهُ في الأَرضِ** ﴾[١] .

رابعاً : قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح وهو لا ينطق عن الهوى « من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إلى سبع أرضين »[٢] . فأثبت الحديث أن الأرض سبع أرضين من حيث العدد ، ومن ناحية أخرى يفهم من الحديث أن الأرض كتلة واحدة ، لا يفصل بينها فاصل ، وإلا كيف يطوق سبع أرضين قد فصل بينها فاصل هذا ما يبدو لي والله أعلم بما خلق .

أما الحديث الذي رواه النسائي عن أبي سعيد الخدري والذي يفيد أن المسافة بين كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وأن المسافة بين كل أرض خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين ، فهو حديث غريب ، والحسن راوي الحديث لم يسمع من أبي هريرة ، والآثار الأخرى في ذلك لم تصح[٣] .

☆ ☆ ☆

---

(١) المؤمنون آية : ١٨ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) انظر القرطبي ١ / ٢٦٠ .

الجبال والعلم الحديث

ذكر الله سبحانه الجبال في عدة مواضع من القرآن ، وما ذلك إلا لأهميتها في الأرض قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهاداً وَالجِبالَ أَوْتَاداً ﴾[1] .

﴿ أفلا يَنْظُرونَ إلى الإبل كَيفَ خُلِقَتْ وإلى السماءِ كيف رُفِعَت * وَإلى الجِبَالِ كيفَ نُصِبَتْ وإلى الأَرْضِ كيفَ سُطِحَتْ ﴾[2] .

﴿ وأَلْقَىٰ في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَميدَ بِكُمْ ﴾[3] ﴿ والجِبالَ أَرْسَاهَا ﴾[4] .

﴿ وَجَعلْنا في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَميدَ بِهم ﴾[5] .

فإن مجموع هذه الآيات تذكر البشر الذين على ظهر هذه الأرض بأن من نعم الله عليهم وجود هذه الجبال راسخة عليها ، ولولا وجود هذه الجبال في الأرض لما حصل التوازن في الأرض وبالتالي عدم الاستقرار على ظهرها ، كالسفينة التي تخوض البحار ، وتركب الأمواج ، فلولا وجود ما يثبتها من حمل فيها لما استطاعت أن تستقر على وجه الماء وتقاوم الأمواج والتيارات الهوائية لخفتها ، وعدم اتزانها ، وهذا ما يؤيده العلم الحديث .

فحسب الأفكار الحديثة ، فإن ظهور السلاسل الجبلية هو الذي يسود تاريخ تشكل الأراضي التي برزت ، ويصنف كل تطور الأرض من العصر الأول إلى العصر الرابع على حسب مراحل تكون الجبال Phases or ogeniques .

---

(١) النبأ آية : ٦ ، ٧ .

(٢) الغاشية آية : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) لقمان آية : ١٠ .

(٤) النازعات آية : ٣٢ .

(٥) الأنبياء آية : ٣١ .

ويصف علماء الجولوجيا المحدثون تعرجات الأرض بأنها تثبت الأجزاء البارزة التي تتنوع أبعادها من الكيلو متر إلى عشرات الكيلو مترات ، ومن ظاهرة التعرج هذه ينتج ثبات القشرة الأرضية . ومن المفهوم الآن أن المادة الأقل وزناً ارتفعت على سطح الأرض على حين أصبحت أمكنة المادة الثقيلة خنادق هاوية ، وهي التي نراها الآن في شكل البحار ، وهكذا استطاع الارتفاع والانخفاض أن يحافظا على توازن الأرض[١] .

ولقد ظل العلم جاهلاً هذه الحقيقة طوال القرون الثلاثة عشر الماضية ولكن دارسي الجغرافيا الحديثة يعرفونها جيداً تحت اسم « قانون التوازن » Lsosrasg ، ولا يزال العلم الحديث في مراحله البدائية بالنسبة إلى أسرار هذا القانون[٢] .

يرى بعض العلماء المسلمين المعاصرين أن هناك إشارة إلى أن الجبال موطن للحديد والنحاس ، والمنجنيز ، والألومنيوم والمغناسيوم والخارصين في قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُها وغَرابِيبُ سُودٌ** ﴾[٣] .

فالعلم الحديث يرى أن السواد والحمرة يغلبان على خامات أهم العناصر الداخلة في الاختراعات كالحديد ، والنحاس ، والمنجنيز والبياض يغلب على خامات عناصر مهمة أخرى كذلك كالألمنيوم والمغنسيوم ، والخارصين .

فالقرآن العظيم قد أشار إلى العناصر التي لابد منها في كل اختراع من

---

(١) انظر الإسلام يتحدى ص ١٢٨ .

(٢) الإسلام يتحدى ص ١٢٨ .

(٣) فاطر آية : ٢٧ .

ناحية الاختلاف بينها في التركيب من اللبنات الثلاث التي خلق الله منها كل عنصر : من الألكترون ، والبروتون ، والنيوترون ، كما أشار إلى تلك العناصر من ناحية مواطنها وألوان خاماتها في الجبال .

ويرى البعض أن هناك علاقة قوية بين الجبال الشامخة وبين نزول الماء من السماء في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا فِيها رَوَاسِي شَامِخَاتٍ وأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُراتاً** ﴾[١] .

فيرى أن ذكر الجبال هنا وكونها شامخات إشارة إلى أن لها دخلاً كبيراً في تكوين المطر ونزوله . والعلم الحديث يرى أن من عوامل نزول المطر ، وجود جبال عالية ، والمعروف أن أعلى قمة في العالم هي قمم (افرست) بالهند حيث يبلغ ارتفاعها ٨٨٤٨ متراً فوق سطح البحر (انظر شكل ٩) .

كما يرى البعض أن قوله تعالى : ﴿ **وَتَرى الجِبَالَ تَحْسَبُها جَامِدَةً ، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الذي أَتْقَنَ كلَّ شيءٍ إِنَّهُ خَبيرٌ بما تَفْعَلون** ﴾[٢] فيه دلالة على حركة الأرض ودورانها حول نفسها ويرى أن هذه الآية ليس لها ارتباط بما قبلها ﴿ **يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ في السَّموات وَمَنَ في الأَرْضِ إلاّ مَن شَاءَ اللهُ وكلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِين** ﴾[٣] .

فيرون أن حركة الجبال تشبه حركة السحاب الذي يتحرك لا بالذات وإنما يتحرك بواسطة الرياح التي تحمله ، وكذلك الجبال فإن حركتها لا بالذات ، وإنما تتحرك بحركة الأرض ، أما في مرأى العين للإنسان ، فإنها

---

(١) المرسلات آية : ٢٧ .
(٢) النمل آية : ٨٨ .
(٣) النمل آية : ٨٧ .

جامدة لا تتحرك[1] .

ولكن إذا رجعنا إلى أقوال المفسرين القدامى ، فإنهم يرون أن ذلك خاص بيوم القيامة ، ففي ذلك يقول الشوكاني : وقد ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة ، ولكن الجمع بينها أن نقول إن أول أحوالها الاندكاك وهو قوله تعالى : ﴿ **وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة** ﴾ وثاني أحوالها أن تصير كالعهن المنفوش (وهو الصوف المفتت) كما في قوله تعالى : ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ وثالث أحوالها أن تصير كالهباء وهو قوله تعالى : ﴿ **وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً** ﴾ ورابع أحوالها أن تنسف وتحملها الرياح كما في قوله تعالى : ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** ﴾ وخامس أحوالها أن تصير سراباً أي لا شيء كما في قوله تعالى : ﴿ **فكانت سراباً** ﴾ وكل ذلك يوم القيامة[2] .

فالذين يقولون بالقول الأول من المعاصرين بأن الجبال تمر مر السحاب في هذه الدنيا لدورانها مع الأرض يرون ألا مناسبة بين قوله تعالى : ﴿ **صنع الله الذي أتقن كل شيء** ﴾ وبين انتهائها عن العمل ، وكونها أصبحت لا شيء ، والمناسبة تكون أقوى مع وجودها ، واستمرارها في عملها ، فهنا يبدو سر الصنعة والإتقان أولى ، وأوضح مما لو انتهت ، وتلاشت ، وأصبحت لا شيء .

وفي الحقيقة لم يبدُ لي أي ترجيح لأحد القولين على الآخر في معنى هذه الآية . والله أعلم بذلك .

---

(١) انظر (الإسلام في عصر العلم) الأستاذ أحمد محمد الغمراوي والدكتور أحمد عبد السلام الكرداني ص ٢٧٦ .

(٢) انظر فتح القدير ٥ / ٣٦٤ وانظر روح المعاني ٧ / ٢١ / ٣٤ وزاد المسير ٦ / ١٩٥ والطبري ٢٠ / ١٥ والنيسابوري ٢٠ / ١٩ بهامش ابن جرير . والكشاف ٣ / ١٦٢ .

البحار والأنهار والعلم الحديث

بالنسبة للبحار ، والأنهار ، فإن الله تعالى قد ذكرها في القرآن الكريم أكثر من موضع مذكراً عباده بما امتن به على خلقه بإيجاده هذه الوسائل العظيمة ، والنعم الكبرى على سطح الأرض ، فهي ولاشك وسائل لنقل الإنسان وأمتعته ، كما أنها تحمل في باطنها الغذاء الذي لايستغني عنه الإنسان في حياته ، علاوة على ما يستخرج منها من حلي ينتفع به الناس .

وكل ذلك ليس بخاف على أحد من خلقه ، ويعرفه العالم والجاهل على حد سواء : قال تعالى : ﴿ هوَ الذي يُسَيِّرُكُمْ في البر وَالبحرِ ﴾[١] .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الفُلْكَ لِتجْرِيَ في البحرِ بِأَمْرِه وَسَخر لَكُمْ الأَنْهارَ ﴾[٢] .

﴿ وَهوَ الذي سَخَّرَ البَحْرَ لِتأْكُلُوا مِنه لحماً طَرِيّاً ﴾[٣] .

﴿ وَلَقَد كرَّمْنا بَني آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ في البر والبحرِ ﴾[٤] .

﴿ وَهوَ الذي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فيها رَوَاسِيَ وأَنْهاراً ﴾[٥] .

ولكن هناك حقائق ، وأسراراً لهذه البحار والأنهار لم تعرف فيما مضى من الزمن حتى جاء العلم الحديث ، فكشف عنها وأيد القرآن الكريم .

حسب ما يقول الجولوجيون في العصر الحديث : إن تاريخ توزيع البحار والأراضي على سطح الكرة الأرضية لم يعرف إلا حديثاً ، وهو غير متكامل حتى بالنسبة إلى العصور الأقل قدماً التي تعرف أحسن من غيرها ، ويرون احتمال أن

---

(١) يونس آية : ٢٢ . (٢) إبراهيم آية : ٣٢ . (٣) النحل آية : ١٤ . (٤) الإسراء آية : ٧٠ .
(٥) الرعد آية : ٣ .

يرجع ظهور المحيطات المشكلة للسطح المائي للكرة Hyd rospheore إلى نصف مليار سنة تقريباً [١] .

أما القارات التي كانت كتلة واحدة في نهاية العصر الأول ، فقد تفرقت بعد ذلك ، فالقارات ، أو قطع منها قد ظهرت بواسطة عملية تشكل الجبال في المنطقة المحيطة (حالة قارة شمال الأطلنطي وجزء من أوروبا مثلاً)[٢] .

وقد طرحت هذه النظرية عام ١٩١٥ لأول مرة حين أعلن خبير طبقات الأرض الألماني « الفريد واجيز » أنه لو قربت القارات جميعاً ، فسوف تتماسك بعضها ببعض (انظر شكل (١) (٢) (٣)) .

وهناك شبه كبير يوجد على سواحل البحار المختلفة ، كأن نجد جبالاً متماثلة عمرها الأرضي (واحد) وكأن نجد فيها دواباً وأسماكاً ، ونباتات متماثلة ، وهو ما قاله البروفسور « رونالد جود » Rond Good « عالم الجغرافيا » لقد اتفق علماء النبات على النظرية القائلة بأنه لا يمكن تفسير ظاهرة وجود نباتات متماثلة في مختلف قارات العالم إلا إذا سلمنا بأن أجزاء الأرض هذه كانت متصلة بعضها ببعض في وقت من الأوقات » .

وقد أصبحت هذه النظرية علمية تماماً بعد تصديق « الجاذيية الحجرية » لها (Magnerism Fossil) فإن العلماء اليوم بعد دراسة ذرات الحجارة - يستطيعون تحديد موقع أي بلد وجدت به هضبة تلك الحجارة في الزمن القديم[٣] .

---

(١) مع التحفظ في هذا العدد من السنين التي لا يعلم مداها إلا الله وحده .

(٢) انظر دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٠٦ .

(٣) انظر الإسلام يتحدى ص ١٣٠ .

وقد أثبت العلم الحديث أن واحداً وسبعين في المائة ٧١٪ من مساحة الكرة الأرضية مشغولة بمياه البحار ، والمحيطات (أي ثلاثة أرباع الأرض) تتبخر دائماً ، وباستمرار لتحفظ درجة حرارة الأرض ، وتحمل الرياح ذلك البخار ، فيتكاثف فينزل مطراً بقدرة الله تعالى ، ولولا وجود هذه المحيطات ، والبحار لخلت الأرض من المياه العذبة ، فأصل كل المياه العذبة من البحار .

ويرى بعض العلماء المعاصرين من المسلمين أن قوله تعالى ﴿ **أَفَرَأَيْتُم الماءَ الذي تَشْرَبون * أَأَنتُمْ أَنْزَلْتُموهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ المنزِلُون * لَو نَشَاءُ جَعَلْناهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرون** ﴾[1] فيه دلالة على أن الماء الذي نزل من السماء كان أصله مالحاً ، والماء المالح كما هو معروف هي البحار .

يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ **حَتى إذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لبَلَدٍ مَيِّتٍ** ﴾[2]

ومعنى أقلت : حملت ، أي حملت سحباً ثقالاً من الماء ، ورفعته إلى أعلى .

فلو شاء سبحانه لجعله أجاجاً كأصله ، ولكن المنعم قد تفضل على عباده بأن جعله عذباً فراتاً ، ولا يستوى الماءان في نظر العقلاء ﴿ **وَمَا يَسْتَوي البحرانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُه وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاج** ﴾[3] .

وهنا يبدو السر واضحاً في قوله تعالى :﴿ **أَخْرجَ مِنْها مَاءَها وَمرْعَاهَا** ﴾[4]

---

(١) الواقعة آية : ٦٨ ـ ٧٠ .

(٢) الأعراف آية : ٥٧ .

(٣) فاطر آية : ١٢ .

(٤) النازعات آية : ٣١ .

فإضافة الماء إلى الأرض (وهو نازل من السماء) يقضي أن هذا الماء ما هو إلا ماؤها في الأصل ، وهي « البحار »

ومن ناحية أخرى ، فإنها (البحار) تحافظ على درجة الحرارة النازلة من الشمس ، ولولاها لما وجدت الحياة على ظهر الأرض .

بعد ذلك إليك الحقائق التي كشف عنها العلم الحديث :

١ ـ الحقيقة الأولى :

في قوله تعالى : ﴿ **مَرَجَ البحرين يَلْتَقِيان بَيْنَهما بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَان . فَبِأي آلاء رَبِّكما تُكذّبان . يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤ وَالمَرْجان** ﴾[١]

مرج : خلط ، وقيل خلى ، وأرسل ، وأهمل : يقال مرج السلطان الناس ، إذا أهملهم .[٢]

أما البحران في الآية ، فإن من المفسرين القدامى من رأى أنهما المالحان ، وهما بحر فارس ، والروم ، وهو المنقول عن الحسن ، وقتادة وكما ترى فإن هذا القول بعيد كل البعد ، لأن الآية قد ذكرت البحرين كقاعدة عامة في كل بحرين مالحين يلتقيان ، ولا تخص بحرين دون غيرهما .

ومنهم من قال إنه البحر المالح ، والأنهار العذبة ، وهو المنقول عن ابن جريج ، وهناك أقوال لا حاجة لذكرها[٣] .

---

(١) الرحمن آية : ١٩ ـ ٢٢ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٧ / ١٦٢ .

(٣) انظر القرطبي ١٧ / ١٦٢ ، فتح القدير ٥ / ١٣٤ .

أما البرزخ ، فقيل الأرض التي بينهما ، قاله الحسن ، وقتادة وقيل حاجز من القدرة الإلهية[١] .

وأما الشوكاني فقال : أي حاجز يحجز بينهما[٢] فأطلق القول

أما قوله يبغيان : فقيل : لا يبغيان على الناس بالغرق فيغرقانهم ، وجعل بينهما وبين الناس يبساً ، وهو قول مجاهد ، وقيل لا يبغي أحدهما على صاحبه ، فيغلبه وهو المنقول عن مجاهد ، وعن قتادة أيضاً .

وقال ابن زيد : المعنى « لا يبغيان أن يلتقيا ، وتقدير الكلام : مرج البحرين يلتقيان ، لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان أن يلتقيا[٣] .

ومن المفسرين المسلمين المحدثين يرى كذلك أن البحرين هما المالح والعذب ، فالسيد قطب رحمه الله يقول « البحران المشار إليهما هما المالح والبحر العذب ، ويشمل الأول البحار والمحيطات ، ويشمل الثاني الأنهار ، ومرج البحرين أرسلهما ، وتركهما يلتقيان ، ولكنهما لا يبغيان ، ولا يتجاوز كل منهما حده المقدر ، ووظيفته المقسومة ، وبينهما برزخ من طبيعتهما من صنع الله تعالى[٤] .

هذا هو تفسير بعض المتقدمين ، والمتأخرين من المسلمين .

فإذا رجعنا إلى الحقيقة والواقع والعلم الحديث ، فإن البحرين المقصود بها البحران المالحان ، فإنه قد ثبت فعلاً أن هناك حاجزاً بين البحار المالحة ،

---

(١) انظر القرطبي ١٧ / ١٦٢ .

(٢) فتح القدير ٥ / ١٣٤ .

(٣) انظر القرطبي ١٧ / ١٦٢ .

(٤) انظر في ظلال القرآن ٧ / ٦٨١ وانظر التفسير الواضح ٢٧ /١٢٩ .

حيث أن كل بحر له خاصيته من الكثافة ، والملوحة ، ودرجة الحرارة يختلف عن غيره ، فالبحار ذات الملوحة القصوى تقع بالقرب من الصحاري الحارة الجافة حيث تتبخر المياه هناك بسرعة عالية بفعل حرارة الشمس وجفاف الهواء .

أما أقل المياه ملوحة ، فتقع على مقربة من مصبات الأنهار الكبيرة ، ولاسيا في أنحاء العالم الباردة ، كبحر البلطيق مثلاً .

ومن يسكن أوربا يعلم أن البحر يزداد دفئاً كلما اتجه نحو الجنوب .

ولما كانت مياه البحر تستمد حرارتها من الشمس ، فإن البحار الواقعة على خط الاستواء ، أو القريبة منه هي أكثر دفئا عند السطح ، وتزداد مياه السطح برودة ، كلما بعدت عن خط الاستواء . إلى أن يتحول إلى جليد عند القطبين الشمالي والجنوبي ، ولما كانت المياه ذات وزن ، فإنها تضغط على ما تحتها ، ويزداد الضغط بازدياد العمق ، وفي المياه العميقة جداً يكون الضغط عظيماً من جميع الجهات[1] .

وهذا الحاجز يفصل بينهما بحيث لا يتجاوز أحدهما الآخر ، وقد وجد عند ملتقى البحر الأبيض ، والمحيط الأطلنطي ، ووجد كذلك عند التقاء البحر الأحمر ، والمحيط الهندي ، بحيث لا يبغي أحدهما على الآخر بخصائصه ، ومميزاته ، وقد كشف هذا فقط قبل عشرين عاما وهذا الحاجز لا يرى بالعين المجردة ، وإنما يرى بالآلات الحديثة المكبرة ، وقد صور هذا الحاجز عن طريق سفن الفضاء ، حيث يصورون بالأشعة فوق الحمراء على حسب درجة الحرارة

---

(١) انظر الموسوعة الحديثة (الأرض) ص ١٤ ، ١٥ .

لكل منهما ، فيصورون هذا بدرجة حرارته ، وهـذا بـدرجـة حرارتـه ، فيكون الفاصل بينهما واضحاً .

وهذا الحاجز يفقد خاصية كل من البحرين ، ويكون وسطـاً من تشكيل البحرين معـاً .

وهذه الحقيقة قد ثبتت في البحـار المـالحـة ، لا البحـار المـالحـة ، والبحـار العذبة كما فهم بعض المفسرين حسبما بدا لهم، والدليل على ذلك قوله تعالى بعـد ذلـك ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجـان** ﴾ . فـالمرجـان حيـوان بحري ، ولا يستخرج إلا من البحر ، ولم يثبت أنه يعيش في الأنهار البتة .

ومشاهدة اللؤلؤ والمرجان في البحـار المـالحـة لا يخفى على أحـد في المـاضي والحاضر. والشيء العجيب في هذا الحاجز أنه ليس ثابتاً كما في الحـاجز بين المـاء العذب ، والماء المالح ـ كما سيـأتي ـ وإنمـا هو متحرك مع الريـاح ، ومع المـد ، والجزر ، فسبحان الخالق العظيم في ملكه،الحكيم في صنعه !

كما لا يفوتنـا أن نـذكر القـارىء الكريم إلى أن هـذا الحـاجز يكـون عنـد ملتقى كل بحرين في العـــالم في أي مكان : كالبحر الأحمر ، والبحر الأبيض ، والبحر الأبيض ، والمحيط الأطلنطي ، والبحر الأحمر ، والمحيط الهنـدي والخليج العربي ، والبحر العربي ، وهكـذا ، لا المحيطـات ، أو البحـار المتصلـة ببعضهـا البعض ، أو المفتوحة على بعضهـا البعض ، وليس لهـا ملتقى كما جـاء النص في الآيـة الكريمـة ﴿ **يلتقيـان** ﴾ أي عنـد ملتقى كل منهما الآخر ، حيث لكل واحد منهما خاصيات ، ومميزات لا توجد في الآخر .

٢ ـ الحقيقة الثانية :

في قوله تعالى : ﴿ وَهوَ الذي مَرَجَ البَحرينِ هَذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهَذا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً ﴾[١] مرج : خلط ، أو خلى ، وأرسل . فرات : شديد العذوبة أجاج : شديد الملوحة . برزخ : حاجز . حجراً محجوراً : مانعاً قوياً .

وقد نقل القرطبي رحمه الله وغيره في البحرين قولين :

القول الأول : أنهما بحر فارس والروم والقول الثاني : هما بحر السماء ، وبحر الأرض يلتقيان في كل عام[٢] .

وكما ترى فإن هذين القولين بعيدان كل البعد عن الحقيقة والواقع ، حيث إن البحرين في الآية ليسا مقصورين على بحرين بعينهما ، وإنما ذكرت ذلك كقاعدة عامة في كل بحرين : مالح وعذب متجاورين ، كما أنه لا يوجد بحر في السماء كما كانوا يعتقدون . أما الشوكاني فقد قال : « وقيل المراد من البحر العذب الأنهار العظام كالنيل ، والفرات ، وجيحون ، ومن البحر الأجاج البحار المشهورة »[٣] .

ومثله الألوسي فهو يرى أن « المراد بالبحرين الماء الكثير العذب ، والماء الكثير الملح من غير تخصيص بحر معين »[٤] . ولم ينقل سوى هذا القول دلالة

---

(١) الفرقان آية : ٥٣ .

(٢) انظر القرطبي ١٣ / ٥٩ .

(٣) فتح القدير ٤ / ٨٢ .

(٤) روح المعاني ٧ / ١٩ / ٣٣ .

على أن هذا القول هو الصواب عنده . وكذلك ابن الجوزي[١] .

أما عن البرزخ : فقد قال الشوكاني : « والبرزخ بينهما الحائل من الأرض »[٢] وكذلك نقل الألوسي عن الحسن[٣] . ومال السيد قطب إلى هذا الرأي بقوله : « وهو الذي ترك البحرين الفرات العذب ، والملح المر يجريان ، ويلتقيان ، فلا يختلطان ، ولا يمتزجان ، إنما يكون بينهما برزخ ، وحاجز من طبيعتهما التي فطرها الله ، فمجاري الأنهار غالباً أعلى من سطح البحر ، ومن ثم ، فالنهر العذب هو الذي يصب في البحر المالح ، ولا يقع العكس إلا شذوذاً ، وبهذا التقدير لا يطغى البحر على النهر الذي فيه الحياة للناس والأنعام والنبات »[٤] .

أما القرطبي فقال « أي حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على صاحبه »[٥] .

أما ابن الجوزي فقال : « والبرزخ الحاجز ، وفي هذا الحاجز قولان : أحدهما : أنه مانع من قدرة الله تعالى،قاله الأكثرون.قال الزجاج : فهما في مرأى العين مختلطان ، وفي قدرة الله تعالى منفصلان ، لا يختلط أحدهما بالآخر ، ونقل عن أبي سليمان الدمشقي قوله رأيت عند « عبَّادان »[٦] من سواد البصرة الماء العذب ينحدر في دجلة نحو البحر ، ويأتي المد من البحر ، فيلتقيان ، فلا يختلط أحدهما بالآخر : يرى ماء البحر إلى الخضرة الشديدة ، وماء دجلة إلى الحمرة الخفيفة ، فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عذباً لا

(١) زاد المسير ٦ / ٩١ .
(٢) فتح القدير ٤ / ٨٢ .
(٣) روح المعاني ٧ / ٣٣٨٩ .
(٤) في ظلال القرآن ٦ / ١١٤ .
(٥) القرطبي ١٣ / ٥٦ .
(٦) مدينة بإيران حالياً عند مصب دجلة .

يخالطه شيء ، وإلى جانبه ماء البحر في مكان واحد .

والثاني أن الحاجز : الأرض واليبس وهو قول الحسن ، والأول أصح[١] . ومثله الصاوي في حاشيته على الجلالين[٢] .

فأنت ترى أن ما نقله ابن الجوزي هو الحق وهو الصواب كما سيأتي وقد روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما (هو الذي مرج البحرين) يعني خلط أحدهما على الآخر ، فلم يفسد العذب المالح ، ولم يفسد المالح العذب ، وأخرج ابن أبي حاتم عنه في قوله (حجراً محجوراً) يقول حجر أحدهما عن الآخر بأمره .

هذه أقوال المفسرين ـ رحمهم الله تعالى ـ وكما ترى فإن منهم من أصاب الهدف ، وأتى بالمعنى المراد ، ومنهم من لم تتبين له الحقيقة ، فماذا عن العلم الحديث ؟

لقد أثبت العلم الحديث أن هناك فعلاً حاجزاً بين المياه العذبة ، والمياه المالحة عند مصب الأنهار ، وأن هذا البرزخ هو الفاصل بين المائين لا يختلط أحدهما بالآخر ، فهناك على سبيل المثال : نهران يسيران في « تشاتغام » في بنغلاديش إلى مدينة « أركان » في « بورما » ويمكن مشاهدة النهرين مستقلاً أحدهما عن الآخر ، ويبدو أن خيطاً يمر بينهما حداً فاصلاً ، فالماء العذب في جانب والماء المالح في جانب ، وهذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل ؛ فماء البحر يدخل ماء النهر عند « المد البحري » ولكنهما لا يختلطان ، فيبقى الماء العذب تحت الماء المالح ، ويقول الأستاذ وحيد الدين خان : هكذا شاهدت عند ملتقى نهري « الكنج والجاموتا » في مدينة « الله آباد » فهما رغم

---

(١) انظر زاد المسير ٦ / ٩١ .

(٢) حاشية الصاوي على الجلالين ٣ / ١٣٤ .

التقائهما لم تختلط مياههما ، ويبدو الفاصل بينهما واضحاً[١] .

وهذا هو المشاهد عند ملتقى النيل والبحر الأبيض قبل السد العالي ، وكذلك عرفت من قول ابن الجوزي أنه هو المشاهد عند ملتقى الفرات والخليج .

وهذه الظاهرة كما يقول الأستاذ وحيد الدين خان ـ قد مكنت العلماء من كشف قانون جديد في الوقت الحاضر « فقد أكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانوناً ضابطاً للأشياء السائلة يسمى « قانون المط السطحي » surfacftension ، وهو يفصل بين السائلين لأن « تجاذب الجزئيات يختلف من سائل لآخر ، لذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله ، وقد استفاد العلم الحديث كثيراً من هذا القانون الذي عبر عنه القرآن الكريم﴿ **بينهما برزخ لا يبغيان** ﴾ ، وملاحظة هذا البرزخ لم يختلف على أعين القدماء ، كما لم يتعارض مع المشاهدة الحديثة ونستطيع بكل ثقة أن نقول : إن المراد من ﴿ **البرزخ** ﴾ إنما هو « المط ، أو التمدد السطحي » الذي يوجد في الماءين والذي يفصل أحدهما عن الآخر »[٢] .

أما السر في قوله تعالى ﴿ **وحجراً محجوراً** ﴾ فمعناه أن هناك حاجزاً قوياً مانعاً ، بحيث يمنع الأسماك التي تعيش في العذب بأن تدخل في الماء المالح . وبالعكس ، لأن طبيعة كل منهما تختلف عن الآخر فلو لم يكن ذلك الحاجز لماتت الأسماك التي تدخل الماء العذب من الماء المالح وبالعكس ، لذلك لم يرد في الآية الأولى سوى كلمة ﴿ **برزخ** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **بينهما**

---

(١) انظر الإسلام يتحدى ص ١٢٤ .

(٢) الإسلام يتحدى ص ١٢٤ .

برزخ لا يبغيان ﴾ لأن البرزخ المشار إليه هناك يمكن أن يسمح لدخول أسماك بحر في بحر آخر . والله أعلم .

٣ ـ أما الحقيقة الثالثة :

فهي في قوله تعالى ﴿ **وما يَسْتَوي البحرانِ هَذا عَذْبٌ فُراتٌ سَائِغٌ شَرَابُه وهَذا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلونَ لَحْماً طَرِيّاً وتَسْتَخْرِجُون حِلْيَةً تَلْبَسُونَها** ﴾[1]

إذا رجعنا إلي أقوال المفسرين القدامى . نراهم غير متفقين على رأي واحد ، وإنما آراؤهم مختلفة :

قال الشوكاني رحمه الله تعالى « الظاهر أن المعنى : وتستخرجون منهما حلية تلبسونها » ونقل عن المبرد : إنما تستخرج الحلية من المالح ، وروي عن الزجاج أنه قال : إنما تستخرج الحلية منهما إذا اختلطا ، لا من كل واحد منهما على انفراده[2] .

أما القرطبي فيقول « إنما تستخرج الأصداف التي منها الحلية من الدر وغيره من المواضع التي فيها العذب ، والملح نحو العيون فهو مأخوذ منها ، لأن في البحر عيوناً عذبة »[3] .

أما الألوسي فيقول والحلية التي تستخرج من البحر المالح اللؤلؤ والمرجان .. ولا نعلم حلية تستخرج من البحر العذب ، وقيل : لا يبعد أن

---

(١) فاطر آية : ١٢ .

(٢) انظر فتح القدير ٤ / ٣٤١ .

(٣) القرطبي ١٤ / ٣٣٤ .

تكـون الحليـة المستخرجـة من ذلـك عظـام السمـك التي يصنـع منهـا قبضـات للسيوف والخناجر مثلاً ، فتحمل ويتحلى بها ، وقـال الخفـاجي : لا مـانع من أن يخرج اللؤلؤ من الميـاه العـذبـة وإن لم نره ، ثم قـال ولا يخفى مـا فيـه من البعد ، ثم ذكر أقوالاً أخرى[١] .

مما تقـدم يتضـح أن المفسرين رحمهم الله تعـالى لم يجمعـوا على أن اللـؤلـؤ والحلية يخرج من الميـاه العـذبـة ، فمنهم من أثبت ذلـك كالشوكاني وغيره أخـذاً بظـاهر الآيـة ودون تحقيـق في المسـألـة ، ومنهم من نفى أن يخرج اللـؤلـؤ من المياه العذبة .

أمـا اليـوم وبعـد مرور أربعـة عشر قرنـاً من الـزمن ، فـإن العلم الحـديث يثبت تلك المعجزة ، فقد تبين أن هناك من الأنهار ما يستخرج منهـا اللؤلؤ ، والذهب ، وهي موجودة في الهند وفي الصين ، وفي أمريكا ، وفي روسيـا ، وفي ألمانيـا ، وهنـاك من أنهـار العرب مـا يستخرج منهـا الآن الـذهب عن طريق تفتت الصخور بداخل الطمي بطريقة مستحدثة .

٤ ـ الحقيقة الرابعة :

في قـولـه تعـالى ﴿ **وَالـذِينَ كَفَروا أَعمَالُهمْ كَسَرابٍ بِقِيعَـةٍ يَحْسَبـهُ الظَّمآنُ مَاءً حَتى إذا جَـاءَهُ لَمْ يَجِـدْهُ شَيئـاً وَوَجَـدَ اللهَ عِنْـدَهُ فَوَفَّـاهُ حِسَابَـه واللهُ سَريعُ الحِسـابِ . أو كَظُلُمَاتٍ في بَحر لُجِّيٍّ يغشَـاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُمَاتٌ بَعضُها فَوْقَ بَعْضٍ إذَا أَخرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُـوراً فَما لَـهُ مِنْ نُـور** ﴾[٢]

---

(١) انظر الألوسي ٨ / ٢٢ / ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) النور آية : ٣٩ ، ٤٠ .

إن الله تعالى في هذه الآية يضرب المثل لحال المؤمنين ، وحال الكافرين الذين يعملون الحسنات في هذه الدنيا من الصدقات والصلة ، وفعل الخيرات ، وأداء المعروف ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة ، فإنه تعالى يتقبل من المؤمنين أعمالهم ، ويثيبهم عليها ، أما أعمال الكافرين ، فإنها بمثابة السراب الذي يتراءى للإنسان الظمآن من بعيد ، فيحسبه ماء فإذا جاءه لم يجده شيئاً ، والمثل الآخر لحال الكافر الذي يتخبط في ظلمات كفره ، كمن غطس تحت قاع بحر عميق ، فوصل إلى أقصى عمقه ، وفوق ذلك البحر العميق موج ومن فوق ذلك الموج بحر يغطيه موج آخر ، ومن فوق ذلك الموج سحاب ، فهو يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض،ومن شدة الظلمة لو أخرج يده لم يرها ومهما قربها من عينيه .

اللُّجة : معظم الماء ، والجمع لُجج وهو البحر الذي لا يدرك عمقه . إذا رجعنا إلى آراء المفسرين في تفسير هذه الآية المباركة ، فسنجد أن آراءهم مختلفة .

فالشوكاني يقول ﴿ **يغشاه موج** ﴾ أي يعلو هذا البحر موج ، فيستره ويغطيه بالكلية ثم وصف هذا الموج بقوله ﴿ **من فوقه موج** ﴾ أي من فوق هذا الموج موج ، ثم وصف الموج الثاني ، فقال ﴿ **من فوقه سحاب** ﴾ أي من فوق ذلك الموج الثاني سحاب فيجتمع حينئذ عليهم خوف البحر وأمواجه والسحاب المرتفع فوقه[1] . فالشوكاني يثبت حسب الظاهر أن هناك موجين : موج فوق موج ثم ذكر أقوالاً أخرى بقوله « وقيل إن المعنى : يغشاه موج من بعده موج ، فيكون الموج يتبع بعضه بعضاً حتى كأن بعضه فوق بعض ،

---

(١) فتح القدير ٤ / ٢٩ .

والبحر أخوف ما يكون إذا توالت أمواجه فإذا انضم إلى ذلك سحاب من فوقه زاد الخوف شدة »[١] .

أما صاحب زاد المسير فيقول « فأما اللّجي فهو عظيم اللّجة وهو العميق ﴿ **يغشاه** ﴾ أي : يعلو ذلك البحر ﴿ **موج من فوقه** ﴾ أي من فوق الموج موج ، والمعنى : يتبع الموج موج حتى كأن بعضه فوق بعض »[٢] .

أما النيسابوري فيقول « واللّجي العميق الكثير الماء منسوب إلى اللّج وهو معظم الماء ، والظلمات : ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب »[٣] .فاكتفى بأن ذكر ظلمة الأمواج دون تفصيل .

أما الطبري فقد ذكر أن هناك موجاً فوق موج كظاهر الآية[٤] .

مما ذكرنا من أقوال المفسرين يتبين أن منهم من أثبت أن هناك موجاً يعلوه موج من فوقه أخذاً بظاهر الآية وتسليماً بما جاء بها ، ولكن دون تأكيد هل ذلك واقع فعلاً أم لا ؟

ومنهم من أوّل ذلك فقال : موج يتبعه موج ، فعبرت عنه الآية بأنه موج فوقه موج ، نظراً لما يراه الإنسان من أعلى سطح البحر ولم يعلم ما تحته .

أما العلم الحديث ؛ فإنه قد أثبت فعلاً أن هناك موجاً يعلو أحدهما الآخر : موج فوق البحر اللّجي ، والموج الثاني فوق البحر القريب .

ذلك أن البحر ينقسم إلى قسمين : بحر سطحي وبحر عميق (لجي) وبينهما

---

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) زاد المسير ٦ / ٥٠ .

(٣) انظر النيسابوري ١٨ / ١٠١ بهامش ابن جرير .

(٤) انظر الطبري ١٨ / ١١٦ .

فاصل،وعند هذا الخط الفاصل بينهما ينشأ موج،هذا الموج يغطي البحر العميق ، وفوق هذا الموج البحر السطحي يغطيه موج آخر فوقه،ولعل الموج الذي تحت البحر السطحي سبب منشئه هو الموج السطحي بفعل التجاذب لاتصال المياه بعضها ببعض .

وقد أثبتوا أن الأمواج تحدث ظلمة ، وأن الظلمة تبدأ بعد مائتي متر ٢٠٠ تحت سطح الأرض ، فلا يرى بعد ذلك إلا ظلام دامس والشخص العادي لا يستطيع النزول أكثر من ثلاثين ٣٠ متراً تحت سطح البحر وتلك الظلمة لا يستطيع الشخص العادي أن يصل إليها إلا بواسطة الأجهزة الحديثة وهو ما كشفه العلم حديثاً كما أثبت العلم الحديث أن من خصائص البحار العميقة جداً أن الضغط يكون فيها عظيماً ، ومن كل الجهات .

ولا يخفى أن هناك محيطات وبحاراً عمقها في بعض الأماكن أكثر من ارتفاع الجبال علواً ، وكما هو معروف أن أعلى قمة في العالم هي قمة « افرست » في الهند ، وارتفاعها يبلغ ٨٨٤٨ متراً وأعمق أخدود حتى الآن قد عُرف هو جزء من أخدود (ماريانا) في المحيط الهادي جنوب اليابان ، ويبلغ ١١٠٣٣ متراً تحت سطح البحر .

فالظلمات التي عنتها الآية الكريمة ما يلي :

ظلمة البحر اللّجي ، ثم ظلمة الأمواج التي تغطيه ، ثم ظلمة أمواج البحر السطحي ، ثم ظلمة السحاب الذي حجب ضوء الشمس ، فذلك معنى قوله تعالى ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض** ﴾ .

ولو كانت هناك ظلمة أشد من هذه الظلمة لذكرها سبحانه ، ومع وجود هذه الظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض ، يصاحبها كذلك الخوف الشديد

والضغط الشديد ، وهذا هو حال الكافر الذي يتخبط في كفره ، وفي ضلاله .

٥ ـ الحقيقة الخامسة :

في قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ** ﴾[١] .

إذا رجعنا إلى أقوال المفسرين رحمهم الله تعالى في ذلك فإنهم قد فسروا الريح الطيبة بأنها الريح الخفيفة ، والريح العاصف : الريح الشديدة .

أما تفسير قوله تعالى ﴿ **من كل مكان** ﴾ فقد قال النيسابوري « من جميع أحياز الفلك »[٢] .

وقال الطبري « وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان »[٣] وقال الشوكاني « أي من جميع الجوانب للفلك »[٤] أخذاً بظاهر الآية الكريمة .

والمعروف لدى سائر الناس أن الموج لا يأتي إلا من جهة واحدة ، وهي الجهة التي أتت منها الريح فإذا رجعنا إلى العلم الحديث ؛ فإنه يثبت فعلاً أن الريح العاصف إذا هبت فإن الموج يأتي من كل جانب . وسيأتي مزيد شرح للآية إن شاء الله تعالى .

وأخيراً نأتي لنسأل المعاندين اليوم من أين لمحمد ﷺ هذه الحقائق التي

---

(١) يونس آية : ٢٢ .

(٢) النيسابوري ١١ / ٦٩ بهامش ابن جرير .

(٣) الطبري ١١ / ٦٥ .

(٤) فتح القدير ٢ / ٤٣٤ .

اعترف بها العلم الحديث اليوم وهو لم يركب بحراً ولم ير نهراً ؟ أليس ذلك برهان واضح بأن الذي علّمه هو موجد البحار والأنهار العالم بما فيها ، الخبير العليم بكل شيء !!

☆ ☆ ☆

الرياح والعلم الحديث

قال تعالى : ﴿ هوَ الذي يُسَيِّرُكُمْ في البر وَالبحرِ حَتى إذا كُنْتُمْ في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهم بِريحٍ طَيِّبَةٍ وفَرِحُوا بِها جَاءَتْها رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كلِّ مكانٍ وظَنُّوا أَنَّهم أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِين ﴾[1] .

وقال جل شأنه : ﴿ أَمْ أَمِنْتُم أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيه تَارَةً أُخْرى فَيْرسِلَ عليكم قَاصِفاً مِنَ الرِيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كفرتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُم عَلَيْنا به تَبِيعاً ﴾[2] .

وقال : ﴿ أَيَودُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحتِها الأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثمراتِ وأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِيةٌ ضُعَفاءُ فأَصابَها إعصارٌ فِيه نارٌ فاحْتَرقَتْ ﴾[3] .

هذه الآيات تبين لنا تقسيم الرياح وأنواعها ، فالآية الأولى فيها الريح « الطيبة » والريح «العاصف » والثانية فيها الريح « القاصف » والثالثة فيها الريح « الإعصار » .

هكذا قسمت الآيات الكريمة الرياح ، فإذا رجعنا إلى العلم الحديث نجد نفس التقسيم فالرياح كما يلي : ١ ـ نسيم ـ ٢ ـ عاصف ٣ ـ قاصف ٤ ـ إعصار بنفس التسمية التي جاءت في القرآن . ولكنهم يقسمون النسيم إلى أربعة

---

(١) يونس آية :٢٢ .

(٢) الإسراء آية : ٦٩ .

(٣) البقرة آية :٢٦٦ .

أقسام : نسيم خفيف ، نسيم معتدل ، نسيم نشط ، نسيم قوي . وكل هذه الأنواع مفيدة لا تضر ؛ فيمكن أن نطلق عليها جميعاً بأنها « طيبة » كما أطلقت عليها الآية الكريمة .

ومن ناحية أخرى يقسمون « العاصف » إلى عاصف خفيفة ، ومعتدلة ونشطة ، وقوية ، وكلها تحدث أضراراً ، وخطيرة وكلها يمكن أن نطلق عليها بأنها « عاصف » كما أطلقت عليها الآية .

والعلم الحديث يرى أن العواصف تحدث عندما تصطدم كتلة من الهواء الحار بكتلة من الهواء البارد ، وتقاس بسرعة سيرها في الساعة ، فتسمى ريحاً هوجاء حين تكون قوتها كافية لاقتلاع الأشجار وهدم المداخن ، أو حين تثير في البحار أمواجاً عالية ذات قمم منحية طويلة تتقلب ، ثم تتكسر بقعاً كبيرة من الزبد .

وهذا هو السبب في كون الموج يأتي من كل مكان - كما مرت الإشارة إليه - وتبلغ سرعتها ٦٢ كيلو متراً في الساعة ، وقد تصل إلى ١٢٨ ، ١٦٠ كيلو متراً في الساعة .

أما القسم الثالث فهو « القاصف » والقاصف في اللغة المكسر والتقصف التكسر ، لأن الريح القاصف من خصائصها القصف أي التكسير .

والعلم الحديث قد أطلق على هذا النوع من الرياح نفس الاسم « قاصف » وسميت كذلك لأنها تكسر كل ما بأعلى السفينة أو كل شيء مرتفع .

أما القسم الرابع ، فهو « الإعصار » وهو - كما يقول الشوكاني : « الريح

الشـديـــدة التي تهب من الأرض إلى السماء كالعمـود وهى التي يقـــال لهـــا « الزوبعة »[١] .

والعلم الحـديث يرى أن الأعـاصير ، ودوامـات المـاء العمـوديـة تحـدث في مناطق معينة من العـالم ، وهي تهب في المنـاطق الحـارة اليـابسـة ، يهب فيهـا الهـواء إلى أعلى وهـو يـدور بسرعـة وحتى الآن لم يصـل العلم إلى كيفيـة بـدء الإعصار، وسرعته مـا بين ٦٠٠ : ٨٠٠ كيلو متر في السـاعـة ، وتسبب الأعـاصير أضراراً بـالغـة ولو دامت قليلاً ، فهي تنتزع الجسور الفـولاذيـة من أسـاسهـا ، وتقتلع الأشجار الكبيرة ، وتخرج القطارات عن خطوطها .

هـذا مـا أثبتـه القرآن الكريم بـالنسبـة للريـاح وأقسـامهـا ، وأيـــده العلم الحـديث ، ونحن نعلم يقينـاً أن الرسـول الكريم صلوات الله عليـه ، لم يركب بحراً ، ولا يعلم شيئـاً عن البحـار ، ولا الريـــاح ، فمن أين لمحمـــد ﷺ هـــذه الحقائق ؟ ما لم يمكن علّمه الخالق العظيم !

ومن الـــوظـــائف التي أسنـدهـــا القرآن الكريم للريـــاح « اللقـــاح » أو « التلقيح » قال تعـالى : ﴿ **وأَرسَلْنـا الريـاحَ لَوَاقحَ فـأَنزَلْنـا مِنَ السماء مـاءً** ﴾[٢] . لواقح : جمع لاقح ، وهنـاك قولان للمفسرين في لواقـح فمنهم من قال : إنها التي تحمل السحاب ، فترفعـه إلى أعلى ، ومنهم من قـال : إنهـا تلقح الأشحار ، والزروع ، فتحمل اللقاح من الذكر إلى الأنثى[٣] .

وإذا رجعنا إلى كتب اللغـة في مـادة « لقح » فـإن صـاحب لسـان العرب

(١) فتح القدير ١ / ٢٨٨ .

(٢) الحجر آية : ٢٢ .

(٣) انظر فتح القدير ٣ / ١٢٧ .

يقول واللواقح من الريح : التي تحمل الندى ، ثم تمجه في السحاب ، فإذا اجتمع في السحاب صار مطراً ، ونقل عن ابن سيده : وريح لاقح على النسب تُلْقِحُ الشجر عنها ، وقال الأزهري قرأها حمزة ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ فهو بين ولكن يقال : إنما الريح ملقحة تلقح الأشجار ، فقيل كيف ذلك ؟ قال ففي ذلك معنيان : أحدهما أن تجعل الريح هي التي تُلْقَح بمرورها على التراب ، والماء ، فيكون فيها اللقاح فيقال : ريح لاقح ، كما يقال : ناقة لاقح ، ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب بالعقيم ، فجعلها عقيماً إذ لم تُلْقِح ، والوجه الآخر وصفها باللقح ، وإن كانت تُلْقِح كما قيل : ليل نائم والنوم فيه ، فجاز مفعول لِمُفْعِل (بكسر العين) . كما جاز فاعل لِمُفْعَل (بفتح العين) إذ لم يزد البناء على الفعل كما قال : ماء دافق [1] .

وكلا التفسيرين (كون الرياح تلقح الأشجار ، والأزهار ، وكونها حوامل للسحب) يؤيدهما العلم الحديث ، فإن الرياح تلقح الأشجار والنبات ، فيصدق عليها أنها « لاقح » بمعنى ملقوحة ، ويصدق عليها أيضاً بأنها لاقح بمعنى « مُلْقِحة » ، فكلمة « لاقح » تصلح لكونها اسم فاعل ، ولكونها اسم مفعول ، وذلك حاصل علمياً ، فهي عندما تمر على (أزهار) الذكر من الأشجار ، والنبات تأخذ معها لقاح الذكر ، فيصدق عليها بأنها « مُلْقَحَة » (بفتح القاف) وعندما تمر على (أزهار) الأنثى من الأشجار وتضع ما بها من اللقاح ، فإنها يصدق عليها بأنها « مُلْقِحَة » بكسر القاف : لذا فإن العلم

---

(١) انظر لسان العرب مادة « لقح » مع ملاحظة أن هذا التفسير مطابق لما يراه العلم الحديث كما سيأتي . أما وصف الرياح بكونها عقيماً فهو في قوله تعالى ﴿ **وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم** ﴾ الذاريات آية: ٤١، أي أن هذه الريح التي أرسلها عليهم ، هي عذاب لهم □ وليس فيها أي فائدة ، كما في الرياح الأخرى ، التي تلقح الأشجار ، وتحمل السحب ..

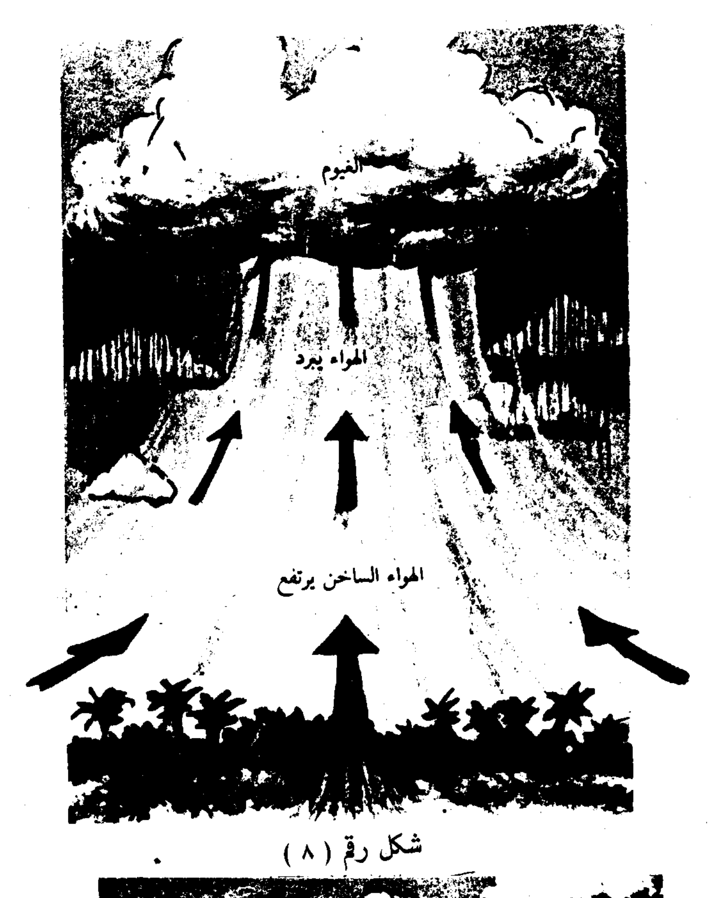
الحديث يرى أن الأزهار التي تلقح بواسطة الرياح تكون صغيرة ، وليس لديها أية صفة جاذبة للحشرات ، فالغلاف الزهري قليل النمو ، والأزهار مكشوفة ، ومعرضة للرياح ، وتنتج الزهرة الواحدة أعداداً هائلة من حبات الطلع الخفيفة الجافة ، قد يصل عددها إلى ٥٠ خمسين مليوناً ، أو أكثر في أي نبات عادي ، فحبات الطلع في أزهار « الصنوبر » كثيرة جداً ، ومن النباتات التي تتميز بأن أزهارها هوائية التلقيح نباتات الفصيلة النجيلية (قمح ، ذرة) وأشجار كثيرة كالحور ، والبندق ، وغيرها .

أما كونها حوامل للسحب ، فإن العلم الحديث قد أثبت أن الهواء الذي يحيط بنا ، أو الجو يحتوي على ماء ، تختفي المياه في الهواء وتتحول إلى غاز يدعى بخاراً مائياً ، ويمكن للهواء الحار أن يحمل من البخار المائي مقداراً أكبر مما يحمله الهواء البارد ، وكلما ازدادت حرارة الهواء ، ازدادت قدرته على حمل البخار المائي وهناك ثلاث طرق لحدوث المطر :

١ ـ يرتفع الهواء الرطب الحار من الأرض قرب خط الاستواء ويبرد هذا الهواء ، وهو يرتفع ، وتتجمع الغيوم الكبيرة عالياً في الفضاء ، وبعد الظهر يبرد لدرجة لا يستطيع معها قادراً على حمل كل ما فيه من بخار مائي ، فيتكثف بعضه ويسقط بزخات مطر قوية . (انظر رقم (٨)) .

٢ ـ نجد الرياح الرطبة في كثير من أنحاء العالم التي تهب من البحر تصطدم بالجبال وتضطر إلى الارتفاع ، لتجتازها وبهذا الارتفاع تبرد إلى درجة كافية لتشكيل الغيوم ويتكثف بعض ما فيها من بخار مائي ، ويتحول إلى مطر (انظر شكل رقم (٩)) .

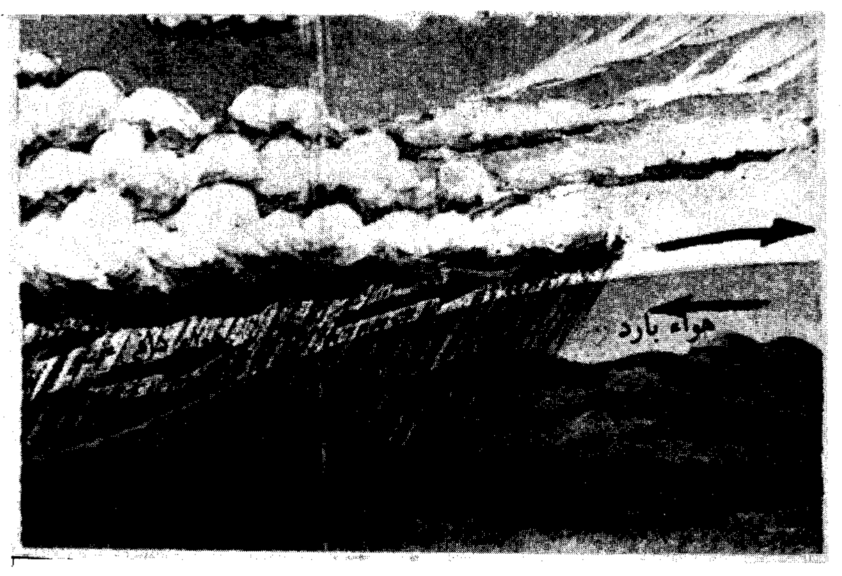
٣ ـ المعروف أن الهواء الساخن أخف من الهواء البارد فإذا اصطدم تيار



شكل رقم (٨)

الغيوم
الريح الرطبة
جاف

شكل رقم (٩)



شكل رقم (١٠)

ساخن بهواء أكثر برودة منه ارتفع الهواء الساخن ليمر فوقه ، وبذلك يبرد وتتكون الغيوم ، وعند التقاء الهواء الساخن بالهواء البارد يسقط المطر بإذن الله تعالى ، إذا كانت البرودة كافية (انظر شكل رقم (١٠)) .

فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **وَاللهُ الذي أَرسلَ الرِّياحَ فَتُثيرُ سحاباً فَسُقْناهُ إلى بلدٍ مَيتٍ ، فأَحيَيْنا بهِ الأرضَ بَعْدَ مَوتِها كذلك النُّشور** ﴾[١] .

فالإثارة : هي النهوض ، والإظهار ، وإثارة الرياح للسحاب هي تكوينه ، وهو شبيه تماماً بإثارة القطا من مكانه عند اصطياده ، حيث إن القطا ، أو أي شيء يراد صيده يثار من مكانه ، ليظهر للأعين ، وكذلك الحال في البخار فإنه كان كامناً في الهواء قبل أن تحمله الرياح ، فلما حملته وتكاثف في الجو رؤي أمام الأعين ، فيسوقه الله لينزل حيث يشاء .

---

(١) فاطر آية : ٩ .

وهكـذا يبـدو واضحـاً أن معنى (تثير) غير معنى (السوق) في الآيـة الكريمة . وهناك حكمة تبدو جلية كذلك في نسبة « الإثارة » للسحاب ، ونسبة السوق إلى الله تعالى ، فما الحكمة من ذلك مع أنها من تدبير الله تعالى وتقديره ؟

الجواب أن نسبة الإثارة (وهو التكاثف) للرياح تعني أن الله تعالى قد كلف الرياح بتلك العملية ، ولكن المطر ، لا ينزل إلا بأمر آخر منه سبحانه ، فتحمله الرياح إلى المكان الذي يأذن به ، فيتساقط مطراً ، فقد يكون التكاثف في جهة ، ونزول المطر في جهة أخرى في حاجة إليه . فسبحان القادر على كل شيء الحكيم في صنعه !

ولنرجع مرة أخرى إلى قوله ﴿ **لواقح** ﴾ إذا قلنا إن لواقح بمعنى حوامل للسحب والمطر ، فالمناسبة لما بعدها ﴿ **فأنزلنا من السماء ماء** ﴾ واضحة ، والارتباط بيْن الحمل ونزول المطر بيِّن لايخفى ، أي أن الرياح حملت السحب ، فسببت سقوط المطر .

أما إذا قلنا إن ﴿ **لواقح** ﴾ بمعنى أنها تلقح الأشجار ، والزروع فما المناسبة بين تلقيح الأشجار والنبات ، وإنزال الماء ؟ أرى أن هناك علاقة قوية ، وارتباطاً وثيقاً ، وحكمة عظيمة : فتلقيح الأشجار والزروع عن طريق الرياح لا فائدة منه ترجى ، مالم يكن هناك ماء يسقي الأشجار والزروع الذي هو سبب نموها ، فنموها إذن وازدهارها متوقف على وجود الماء ، والماء مصدره المطر ، فعلى ذلك يستلزم من تلقيح الرياح للأشجار ، والزروع وجود نمو لها ، ووجود النمو يستلزم وجود ماء ، فبدون ماء لا يوجد نمو ، وبالتالي لا فائدة من التلقيح .

من ذلك يتضح أن هناك مناسبة بينة وعلاقة قوية بين وجود التلقيح

ووجود الماء النازل من السماء .

لذلك قال تعالى بعدها ﴿ **فأسقيناكموه** ﴾ أي أسقيناكم أنتم ومواشيكم ، وزروعكم وأشجاركم من هذا الماء ، فكلمة (أسقيناكموه) أبلغ من (سقيناكموه) ، لأن سقيناكموه تعني نسقيكم أنتم وحدكم دون مواشيكم وزروعكم ، وهذا مالا يريده القرآن : تقول : (أسقيته نهراً) ، فالإنسان هنا لا يشرب نهراً وإنما السقيا له ولمواشيه ، ولزروعه ، فقد جاء في مختار الصحاح « سقاه لشفته ، و أسقاه لماشيته وأرضه »[1] ثم قال بعد ذلك جل شأنه ﴿ **وما أنتم له بخازنين** ﴾ أي لا تستطيعون أن تخزنوه إذا أردنا ذهابه ، وغوره في الأرض ، وإنما نحن نخزنه لكم في باطن الأرض ، لتستخرجوه مرة أخرى ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَرأَيتُمْ إنْ أصبحَ مَاؤكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعين** ﴾[2] .

ويرى الدكتور محمد الغمراوي أن المراد من وصف الرياح بأنها لواقح ليس هو الإشارة إلى أثرها في الجمع بين طلع أعضاء التذكير ، وبويضات أعضاء التأنيث في النبات ، ولكن هو الإشارة إلى أثرها في الجمع بين الكهربائية الموجبة والكهربائية السالبة في السحاب ، فالتلقيح (أو الملاقحة) هناك هي بين قطيرات ، وقطيرات ، أو بين سحاب وسحاب ، لا بين زهر وزهر ،أو نبات ونبات ، فإن اتحاد الكهربائيتين تلقيح ، والشبه تام بين التلقيح الكهربائي ، والتلقيح النباتي[3] فهو يرى أن « لواقح » هنا بمعنى ملقحة

---

(١) انظر مادة « سقى » .

(٢) الملك آية : ٣٠ .

(٣) انظر الإسلام في عصر العلم ص ٤٠٦ .

للسحاب ، لا بمعنى ملقحة للزروع والأشجار وإن كان يعترف به قطعاً في غير هذا الموضع .

والذي دعاه في اعتقادي إلى هذا هو ظنه بألا توجد مناسبة أو علاقة بين تلقيح الأشجار والزروع وبين المطر والسحاب في الآية ، وقد ذكرنا بأن هناك مناسبة ، وعلاقة قوية بين تلقيح الأشجار والزروع ، وبين المطر والسحاب ، كما إني أوافق على ما قاله الدكتور من كون الرياح ملقحة للسحاب كذلك . وليس هو أول من قال بذلك ، فإن هذا القول ليس ببعيد فقد روي عن بعض الصحابة في هذا الشأن ما يتفق وهذا الرأي وإن كان الأسلوب يختلف ، فإن المعنى واحد : فقد أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ قال:يرسل الله الريح فتحمل الماء ، فتلقح به السحاب ، فتدر كما تدر اللقحة ، ثم تمطر .

وأخرج ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه .

وأخرج ابن جرير ،وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن عبيد الله بن عمير قال : « يبعث الله المبشرة ، فتقم [١] الأرض قماً ، ثم يبعث المثيرة ، فتثير السحاب ، فتجعله كسفاً ، ثم يبعث المؤلفة ، فتؤلف بينه ، فتجعله ركاماً ، ثم يبعث اللواقح ، فتلقحه ، فتمطر » [٢] .

---

(١) بالتشديد ، أي تكنس الأرض بمعنى تمر مروراً سريعاً على البحار ، والأنهار لتحمل معها بخار الماء . وهو ما يثبته العلم الحديث .

(٢) انظر فتح القدير ٣ / ١٢٨ .

تمعن قوله : « فتلقح به السحاب ، فتدر كما تدر اللقحة » وتمعن قولـه « ثم يبعث اللواقح فتلقحـه ، فتمطر » أليس هـذا هو المعنى الـذي أراده الـدكتور ، وأراده العلم الحديث ؟ مع ملاحظة : أن ما روي في هذا الشأن عن الصحـابـة الثلاثـة الأجلاء ليس هو من كـلامهم قطعاً ، وإنمـا هـو من قـول سيـد البشر (الـذي لا ينطـق عن الهـوى) وإن لم يسنـدوه إليـه ، لأنـه من علم الغيب ، فيكون في حكم المرفوع ، لا في حكم الموقوف ، لأن القرينة تصرفه عن ذلك .

لـذلـك فـإني أرى أن كون الريـاح « لـواقـح » يمكن أن تفسر بكل الآراء المتقدمة فهي حاملـة للسحـاب ، وفي نفس الوقت ملقحـة لـه ، وهي كـذلـك « ملقحة » (بكسر القاف ، وبفتحها) للأشجار ، والزروع ومـا ذلـك على الله بعزيز ، وهو على كل شيء قدير ! !

ولا تناقض إن شاء الله تعالى بين كل ما قلناه من تحقيق في هذه المسألة .

وهنا يبدو جلياً سر الإعجـاز العلمـي والبيـاني معـاً لهـذا القرآن العظيم ، الذي لا تنتهي عجائبه ، وتظهر كل يوم أسراره.وهكـذا نرى أن العلم الحـديث يقرر كل تلـك الحقـائق التي جـاء بهـا هـذا القرآن منـذ أربعـة عشر قرنـاً من الزمان ، ويثبتها بالدراسة ، والتحليل ، والواقع ، ونرى هـذه المعـاني العظيمـة تتجلى في هذا العصر للملأ قاطبة ، وعلى مرأى ومسمع منهم .

☆ ☆ ☆

الذرة والحديد والعلم الحديث

جاءت كلمة **الذرة** في القرآن الكريم خمس مرات في أماكن متفرقة من سوره :

قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ خيراً يره وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرةٍ شراً يَره** ﴾(١) .

وقال : ﴿ **إنَّ اللهَ لاَ يَظلِمُ مِثقالَ ذَرّةٍ وَإن تَكُ حَسنةً يضَاعِفها** ﴾(٢) .

وقال : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الذينَ زَعمتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلكونَ مِثقَالَ ذَرّةٍ في السّموات ولا في الأرْضِ وَمَالهُمْ فِيهما مِنْ شِرْكٍ ومالَهُ مِنهم منْ ظَهِير** ﴾(٣) .

وقال : ﴿ **وما يَعزُبُ عَنْ رَبِّك مِنْ مثقالِ ذَرّةٍ في الأَرْضِ ولا في السّماءِ وَلاَ أَصْغرَ مِنْ ذَلك وَلا أكْبرَ إلاّ في كتابٍ مُبين** ﴾(٤) .

وقال : ﴿ **لاَ يَعزبُ عَنهُ مِثقَالُ ذرةٍ في السّمواتِ ولا في الأَرْضِ وَلا أَصغر مِنْ ذَلك وَلا أكْبر إلاّ في كتابٍ مُبين** ﴾(٥) .

ولا شك أن الله تعالى عندما ذكر الذرة إنما أراد أصغر شيء في الوجود وقد فسر المفسرون الأوائل من المسلمين رحمهم الله تعالى « الذرة » بما يرونه أمامهم من ذرات دقيقة جداً تتطاير في الهواء ، وبأعينهم المجردة على أن ذلك

---

(١) الزلزلة آية : ٧ ـ ٨ .
(٢) النساء آية : ٤٠ .
(٣) سبأ آية : ٢٢ .
(٤) يونس آية : ٦١ .
(٥) سبأ آية : ٣ .

أصغر شيء في الوجود ، ومنهم من فسر الذرة بالنمل الصغير ، ومنهم من قال إن الذرة ما علق باليد عندما تضربها على الأرض[١] .

ولقد كانوا رحمهم الله تعالى معذورين في ذلك ، لأن حكمهم كان على ما يرونه أمامهم ، أما الذي لا يرونه فيسلمون أمره إلى الله تعالى .

أما الذرة عند الفلاسفة اليونان ، فإن فكرتها كانت موجودة لديهم ، وإن لم يهتدوا إلى حقيقتها ، وقد أطلق عليها « الجوهر الفرد » وقد وضعت هذه النظرية قبل المسيح بألف ومئتي سنة ١٢٠٠ وجاء الفلاسفة من المسلمين كابن سينا ، والرازي ، والكندي وجابر بن حبان وغيرهم ، وأحيوا فكرة الذرة تحت اسم (الجوهر الفرد) ومعناها المادة التي لا يمكن تجزئتها ، وانقسامها ، وبالتالي لا يمكن وجود جسم أصغر منها ، وظل هذا الاعتقاد (عدم تجزئة الذرة) سائداً حتى عام ١٩١٩م إذ استطاع العالم الإنجليزي « رذرفورد » أن يجزِّئ الذرة صناعياً ، وبهذا بدأ كشف أسرار الذرة (Atom) وهنا تتجلى معجزة القرآن العظيم للعالم أجمع في قوله تعالى ﴿ **ولا أصغر من ذلك** ﴾ .

وهذا الذي حير العلماء فيما مضى من الزمن ، حيث كانوا يعتقدون عدم إمكان تجزئة الذرة ، وبالتالي فلا يوجد أصغر من الذرة ذاتها ،ولكن القرآن الكريم قد أثبت ذلك قبل أربعة عشر قرناً من الزمان .

والذرة كما يعرفها العلم الحديث اليوم (Atom) أصغر شيء في الوجود على ظهر الأرض ، ولا ترى بالعين المجردة بل ترى بالمكبر ، وتقاس أوزان الذرة بوحدات خاصة تعرف باسم « وحدات الكتلة الذرية » وتعتبر ذرة الهيدروجين

(١) انظر فتح القدير ٥ / ٤٧٩ .

وحدة للقياس ، ويبلغ وزنها ١,٦٦ جزءاً من مليون مليار مليار جزء من الغرام وهي أخف ذرة في الكون ، كما أن كثافة نواة الذرة منه تبلغ مليون طن لكل سنتيمتر مكعب واحد . وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرون * وَمَا لا تُبصِرون * إنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وما هُوَ بِقولِ شَاعرٍ قَليلاً مَا تُؤمِنون** ﴾[1] .

الحديد :

قال تعالى : ﴿ **لَقَد أَرسلْنا رُسُلَنا بالبَيِّناتِ وأَنزلْنَا مَعَهُمُ الكِتابَ والمِيزانَ لِيقُومَ النـاسُ بـالقِسْطِ وأنـزلْنَا الحـديـدَ فِيـه بَأْسٌ شَـدِيْـدٌ وَمَنافِعُ للنَّاسِ** ﴾[2] .

حقيقة إن الحديد فيه بأس ، وكذلك المنافع التي يجنيها الناس من وراء الحديد كانت معروفة لدى الأوائل ، لأنهم كانوا يصنعونه ، ويرونه أمامهم ، والبأس الذي كان معروفاً لديهم آنذاك يتمثل في السيوف ، والخناجر ، والسكاكين وما إلى ذلك ، ولكن لا يصدق عليها آنذاك البأس الشديد ، كما هو معروف اليوم .

أما المنافع له ، فكذلك كانت موجودة ومعروفة لديهم ، ولكنها لم تبلغ درجة المنافع المعروفة اليوم للناس .

فإذا انتقلنا إلى ما نلمسه ونراه اليوم من البأس ، فإنه يصدق عليه حقاً أنه شديد : فصناعة الأسلحة قد تطورت إلى أكبر مما كان يتصوره العقل البشري من البندقية إلى المدفع إلى الرشاش إلى الصواريخ إلى القنابل الذرية ،

---

(١) الحاقة من آية : ٣٨ : ٤١ .

(٢) الحديد آية : ٢٥ .

والهيدروجينية ، والنووية التي تفتك بالبشر ، وتدمر حضارتهم .

أمـا عن المنـافـع اليوم فـذاك شيء ملمـوس لـدى النـاس وعلى جميـع المستويات ، فمن صناعة الإبرة حتى صناعـة الراديو والتليفزيون والهـاتف حتى صنـاعـة الطـائرات والقطـارات ، والسيـارات . ومن يـدري مـاذا سيكـون في المستقبل من منافع !

إذن فالآية الكريمة قد أعطت البشر حقائق (من وجود البأس الشـديـد ، والمنافع الجمة لهذا الحديد) منـذ أربعـة عشر قرنـاً من الزمـان لم تكن معروفـة للناس ، ولم يكن العقل البشري يصدقها ، وقد صدقهـا العلم الحـديث اليوم في جميع مجالات صناعة ما يتخذ من الحديد ، ومشتقاتـه . والمنـاسبـة بين إرسـال الرسل ، وإنزال الكتب ، والميزان وبين الحديد في هذه الآية مناسبة عظيمة قد تخفى على كثير من النـاس ، ويقولون مـا المنـاسبـة بين إرسـال الرسل وإنزال الكتب والحديد ؟

والجـواب على ذلـك أن المنـاسبـة عظيمـة ، والإشـارة حكيمـة فـإن إرسـال الرسل ، وإنزال الكتب . والقسـط بين النـاس يستلـزم قـوة ، وهـذه القـوة لا شك أنها كامنة في هـذا الحـديـد الـذي خلقـه الله للبشر ، فهو قوة في الحرب ، والسلم معـاً وكلمـة « أنزل » تعني خلـق ، وأنشـأ للنـاس في الأرض . فسبحـان خالق الذرة ، والحديـد ومـا أودع فيهما من قوة وأسرار ظهرت ، وتظهر للبشر على مدى الأيام والسنين . إنه على كل شيء قدير !

☆ ☆ ☆

الغلاف الجوي والعلم الحديث

يقدر سمك الغلاف الجوي بأكثر من ألف كيلو متر ، وهو خليط من غازي الأكسوجين ، والآزوت بنسبة (٩٥ و ٢٠) (٠٧ و ٧٨) ويمتزج معهما غازات أخرى بنسبة ضئيلة ولم يكونوا على دراسة تامة من الغلاف الجوي إلا في عهد اللاسلكي ، والطيران ، ولم يتغلبوا على الصعوبات لأرصاده إلا في عهد القميرات ، والصواريخ .

ومن فوائد تسخير الله تعالى الغلاف الهوائي أنه ينقل إلينا الصوت ، والضوء ، فلو ارتفعنا في الفضاء الخارجي بعيداً عن الغلاف الهوائي للأرض ، فحينئذ لا تدرك حواسنا ضوءاً ، أو صوتاً إلا عن طريق الموجات « الكهرومغناطيسية » كما يحدث عن طريق مركبات الفضاء .

ونرى أن إحدى طبقات الغلاف الجوي واسمها (الأجوتوسفير) منها طبقة تدعى (هفيبيد) هي التي تعكس موجات اللاسلكي بعد إطلاقها من محطات الإذاعة ، وتردها إلى مراكز الاستقبال وهي على ارتفاع حوالى (١٠٠) كيلو متر .

ومن هذه الطبقات للغلاف الهوائي طبقة (التروبوسفير) على ارتفاع (من ٨ إلى ١٨) كيلو متراً فيها تحدث التقلبات الجوية ، فتثار السحب ، وينزل المطر ، وتحدث الأعاصير كما أن في الهواء غاز (الآزون) يمتص معظم الأشعة فوق البنفسجية القاتلة ، والتي تأتي من الفضاء الخارجي فلا يصل إلينا منها إلا القدر المناسب النافع للكائنات الحية .

وفي الهواء كذلك يوجد غاز (الأرجون) ويوجد بنسبة (٠٠٦,) وهو يعطينا الضياء والنور .

وفي أعلى الغلاف الهوائي منطقة تحول دون توهج الشهب وتفتتها قبل أن تصل إلى الأرض ، وهناك عمود من الهواء مساحته سنتيمتر مربع ، وارتفاعه يمتد إلى نهاية الغلاف الجوي للأرض ، وهو يضغط دائماً على الأرض بمعدل (٧٦) سنتيمتر مكعب زئبق نحو ما يزيد وزنه على كيلو جرام .

كما لا يفوتنا أن نذكر أن نسبة الأكسوجين (٢٠,٩٥٪) ولو زاد عن هذه النسبة ، ووصلت مثلاً إلى (٥٠٪) لأصبحت المواد القابلة للاحتراق معرضة للاشتعال ، ولو قلّت ، فهبطت مثلاً إلى (١٠٪) فإن الحياة ستنتهي فوراً على وجه الأرض ، وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ **وَكلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمقْدَار** ﴾[١].

فكلامنا هنا عن الغلاف الجوي ، لا ما فوق أي ما تحت ألف (١٠٠٠) كيلو متر :

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يُزْجي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجعلُهُ رُكَاماً فترى الوَدْقَ يَخرُجُ مِنْ خِلالِهِ ويُنَزِّلُ مِنَ السَماءِ مِنْ جبالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصيبُ بِهِ مَنْ يشَاءُ ويَصْرِفُهُ عَن مَّنْ يشاءُ يَكادُ سَنَا بَرْقِه يَذْهَبُ بالأَبْصَار** ﴾[٢] .

قال المفسرون : يزجي : يسوق ، ثم يؤلف : يجمع ، ركاماً : أي متراكماً بعضه فوق بعض ، الودق : أي المطر ، من خلاله : من بينه . قالوا إن الله تعالى يسوق السحاب حيث يريد ، ثم يؤلف بينه فيجمعه ، ليصبح ركاماً ،

---

(١) الرعد آية : ٨ .

(٢) النور آية : ٤٣ .

ثم ينزل الله المطر إذا شاء من بين السحاب المتراكم ..

إلى هنا فالمفسرون جزاهم الله خيراً قد أصابوا في إعطاء المعنى المراد حقه . ولكن عند تفسير قوله تعالى ﴿ **وينزل من السماء من جبال فيها من برد** ﴾ نراهم يذكرون أقوالاً :

القول الأول : إن البرد ينزل من جبال في السماء فيها برد ، أي أن هناك جبالاً من برد توجد في السماء .

القول الثاني : أن الله ينزل من السماء قدر جبال ، أو أمثال جبال من برد إلى الأرض .

القول الثالث : معنى من جبال من قطع عظام تشبه الجبال .

قال الشوكاني في المراد بقوله من سماء : من عال ، لأن السماء قد تطلق على جهة العلو[١] ومثله الألوسي[٢] فعلى ذلك فإن « من » الثانية فيها ثلاثة أوجه :

الأول : أنها لابتداء الغاية ، الثاني : أنها للتبعيض ، الثالث : أنها زائدة . وكذلك « من » الثالثة فيها الأوجه الثلاثة السابقة ،والوجه الرابع أنها لبيان الجنس ، مع اتفاقهم أن « من » الأولى لابتداء الغاية[٣] .

هكذا اختلفوا رحمهم الله تعالى في تفسير (من جبال) لأن الحقيقة لم تتبين لهم ، فهم معذورون في ذلك ، ولو عاشوا إلى يومنا وركبوا الطائرات ،

---

(١) انظر فتح القدير ٤ / ٤١ .

(٢) انظر روح المعاني ١٨ / ١٩٠ .

(٣) انظر الطبري ١٨ / ١١٨ وابن كثير ٣ / ١٩٧ وفتح القدير ٤ / ٤١ .

لظهر لهم معنى قوله تعالى (من جبال) ولتبين لهم جلياً أن هناك سحاب فعلاً كالجبال .

أما النيسابوري ، فقال : معنى البرد أنه بخار يجمد بعدما استحال من قطرات ماء ، وقال : قال عامة المفسرين : إن في السماء جبالاً من برد خلقها الله كما خلق في الأرض جبالاً من حجر ، وقال أهل المعنى : السماء ههنا الغيم على رؤوس الناس ، والمراد بالجبال الكثرة ، كما يقال : فلان يملك جبالاً من ذهب[١] . وذكر الألوسي نحوه[٢] . فالنيسابوري هنا في نقله عن أهل المعنى يوافق ما يراه العلم الحديث كما سيأتي .

فماذا يرى العلم الحديث ؟

لقد أثبت العلم الحديث أن الهواء الذي يحيط بنا ، أو الجو يحتوي على ماء ، ومعظم البخار المائي يأتي من المحيطات ولكن يأتي بعضه من البحيرات ، والأنهار ، والمستنقعات ومن الأشجار ، والنبات ، ويمكن للهواء الحار أن يحمل من البخار المائي مقداراً أكبر مما يحمله الهواء البارد ، وكلما ازدادت حرارة الهواء ازدادت قدرته على حمل البخار المائي .

وتتكون الغيوم في السماء حين يلتقي الهواء الدافىء الرطب بهواء أشد منه برودة ، وعندما يرتفع الهواء المشبع بالبخار المائي يتحول إلى مطر .

هذا بالنسبة للمطر العادي ، وقد قدمنا شرحاً مفصلاً عن دور الرياح في حمل السحب .

---

(١) انظر النيسابوري ١٨ / ١٠٢ بهامش ابن جرير .

(٢) انظر روح المعاني ١٨ / ١٩١ .

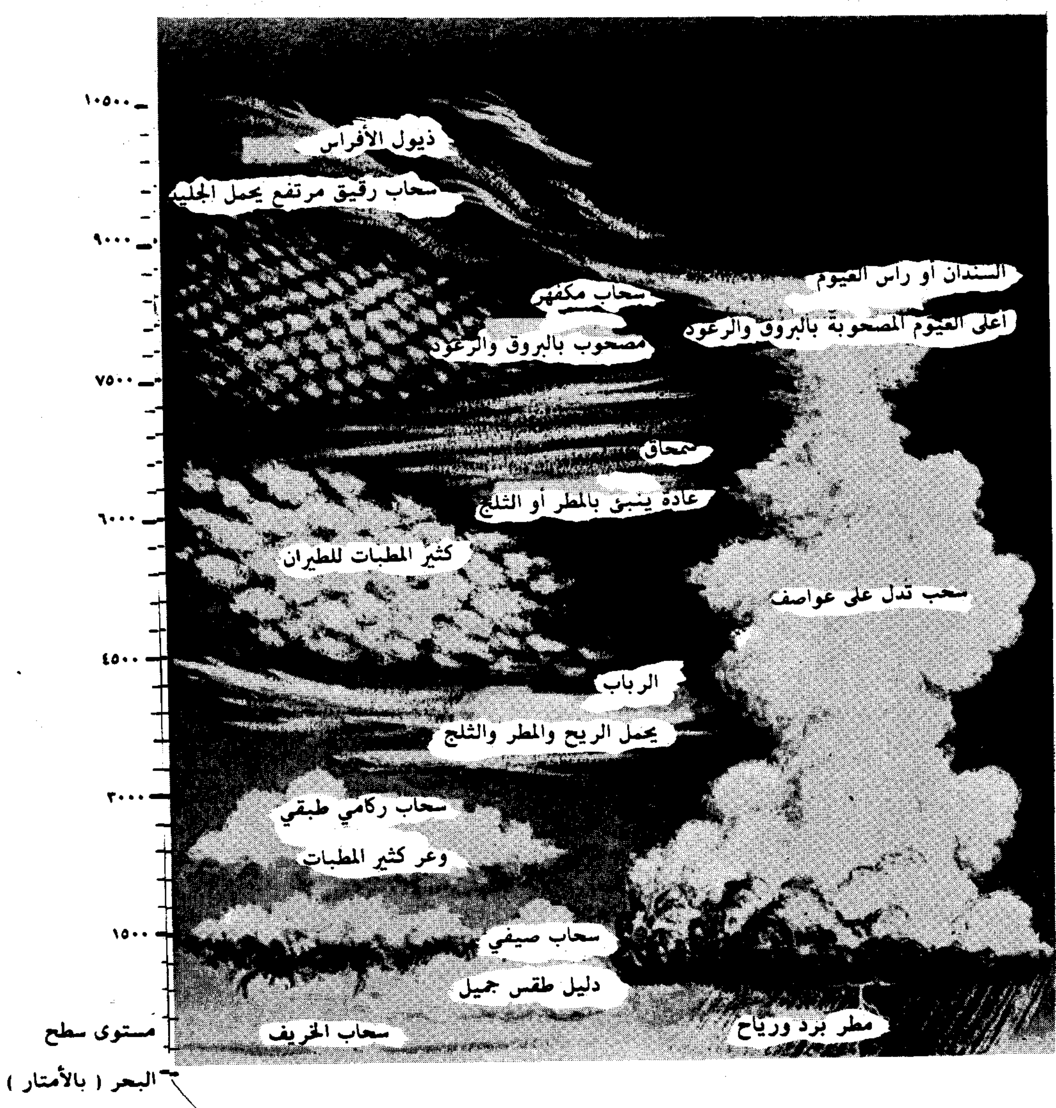
أما بالنسبة للبرد ، فإن العلم الحديث يرى أن سحب البرد دائماً ثقال جداً ، فقد سجلت الأرصاد في بعض المناطق المعتدلة سحابة برد بلغ سمكها عشرة كيلو مترات ، وأن منطقة البرد في سحابته محدودة .

فمن ذلك يتبين أن هناك فرق بين المطرين : فخروج الودق من خلال السحاب الركام ماء لا برد معه ، ويكون في ظروف لا يسمح بتكوين البرد ، والركام سحابته ليست عظيمة ، كعظم سحابة البرد التي شبهتها الآية الكريمة بالجبال ذلك التشبيه البليغ ، فإنها حقاً جبال في السماء . وقد نقل الأستاذ محمد الغمراوي ، وأحمد عبد السلام الكرداني عن العالم الروسي (ن. كو. كيكوف) « أن السحابة البردية تتميز بلون قاعدتها الرمادي ، وانقسامها إلى رقاع وأن قمتها تبدو كجبل له تنوءات كالتلال صفراء غير منتظمة - تعد كلمة (جبال) هنا حرفية - هذه الجبال تبدو إذا أشرف عليها من أعلى كأنها مغطاة بملآت من سحب متشعثة ككتل الصوف »[1] (انظر شكل رقم (١١)) .

والبرد حتى الآن لا يعرف بالضبط كيف يتكون ، ولا كيف تنمو حباته ، فقد تصل في بعض الأحيان إلى قدر بيضة الحمام ، أو بيضة الدجاجة ، أو قبضة اليد . وقد أصابت عاصفة الهند في مايو عام ١٩٢٩م سقط فيها البرد كان من بين حباته وزن الواحدة كيلو جرام ، وقطرها ثلاثة عشر سنتيمتراً . وهذا معنى قوله تعالى ﴿ **وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار** ﴾ .

(١) الإسلام في عصر العلم ص ٣٦٣ .

التنبؤات الجوية



شكل رقم (١١)

قانون الجاذبية والضغط :

فيما مضى من الزمن لم يعرف أحد شيئاً عن الجاذبية الأرضية ، لأنهم لم يغادروا سطح الأرض ، أما اليوم ، فهذا شيء أصبح حقيقة لا مراء فيه ، إن قانون الجاذبية لا يمكن ملاحظته لأحد ، وكل ما شاهده العلماء لا يمثل في ذاته قانون الجاذبية وإنما هي أشياء أخرى ، اضطروا لأجلها أن يثبتوا هذا القانون وهذا القانون كشف عنه « نيوتن » في القرن السابع عشر الميلادي ، ولكن ما هي حقيقة هذا القانون من الناحية التجريبية ؟

يقول « نيوتن »:« إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ، ولا إحساس ، وهي تؤثر على مادة أخرى ، مع أنه لا توجد أية علاقة بينهما ، فنظرية كهذه معقدة غير مفهومة ، ولا هناك طريق لمشاهدتها بالوسائل المجردة ، أو الوسائل العلمية ، ويعتبر حقيقة علمية دون جدال لماذا ؟ لأنها تثبت بعض ملاحظاتنا »[١] .

وهذا يدل دلالة قاطعة على عجز الإنسان ، وافتقاره إلى الله تعالى ، وعدم إحاطته بأسرار هذا الكون العظيم مهما بلغ من العلم وادعى أنه كشف أسرار هذا الكون مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً** ﴾[٢] .

الضغط الجوي :

فيما مضى من الزمان كان الناس يعتقدون أن الضغط على سطح الأرض ، والهواء يمتدان إلى أعلى حتى يصلا إلى القمر ، أو إلى غيره ، ولكن بعدما تمكن

---

(١) الإسلام يتحدى ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) الإسراء آية : ٨٥ .

رواد الفضـاء من الصعود ، والخروج عن الغلاف الجوي لـلأرض ، لاحظـوا أن أجسامهم تخف شيئاً فشيئاً كلما صعدوا إلى أعلى حتى فقدت تماماً وزنها .

وهذا الضغط الجوي يضغط دائماً وبـاستمرار على الأجسـام بنسبـة معينـة لا تزيـد ولا تنقص ، وقـد خلق الله أجسـام المخلوقـات على وجـه الأرض تتحمل هذا الضغط ، بل هو سر وجودها على الأرض ، وبدونـه لا يمكن لهـا العيش ، والاستقرار .

ويبدأ تناقص هـذا الضغـط بعـد ستـة كيلو مترات تقريبـاً من على سطح الأرض ، فينقص إلى نصف مقداره على سطحها وهذه الحقيقة لم تكن معروفـة فيما سبق من الزمان وهي أنه كلما صعد الإنسان إلى الفضاء ، نقص وزنـه وقل الضغط عليه ، حتى إذا خرج عن الغلاف الجوي انتهى الضغط كلية ، وبالتالي كلما ارتفع إلى أعلى حس بالضيق ، والاختناق المستمرين .

وهـذه الحقيقـة قـد أشـار إليهـا القرآن العظيم منـذ أربعـة عشر قرنـاً من الزمان قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيـهُ يَشْرَحْ صَـدْرَهُ للإِسلامِ ، ومَنْ يُرِد أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعلْ صَدْرَهُ ضَيقـاً حَرَجـاً كأَنّما يَصَّعَّـدُ في السّماءِ كذلكَ يَجْعلُ اللهُ الرِجْسَ علَى الذينَ لا يُؤمِنون** ﴾[1] .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى : معناه : يتكلف مالا يطيق مرة بعد مرة كما يتكلف من يريـد الصعـود إلى السماء[2] . سبحـان الله العظيم هـا هم يتكلفـون الصعود في السماء مرة بعد مرة ، أو تارة بعد تارة !!

وقرأ النخعي يصّاعـد (بـالتشـديـد) أيضـاً وهو نفس المعنى يقـال صعـد

---

(١) الأنعام آية : ١٢٥ .

(٢) فتح القدير ٢ / ١٦١ .

(بـالتخفيف) إلى وفي وعلى الجبل ، وقيل صعـد (بـالتخفيف) في السلم وعلى الـدرجـة ، وصعَّد (بـالتشـديـد) في الجبل وعلى الجبل ، وقيل يستوي صعـد (بالتخفيف) وصعَّد (بالتشديد) في وإلى وعلى[١] .

وما دمنـا نتكلم عن الغلاف الجوي للأرض ، فهل هنـاك في القرآن الكريم ما يشير إلى وجود خلق الطـائرت ، وركوب النـاس فيهـا ، وهي تحملهم من مكان لآخر ؟

يرى بعض العلماء المعاصرين من المسلمين أنه يمكن الاستدلال لذلك بقولـه تعالى ﴿ **وآيةٌ لَهم أَنَّا حَملْنَا ذُريَّتَهُمْ في الفُلْكِ المَشْحُون * وخَلَقْنا لَهم مِنْ مِثْلِه مَا يَرْكبون** ﴾[٢] .

فيرون أن هناك وجه شبه كبير بين السفينة ، والطائرة فالسفينة تسبح في الماء ، والطـائرة تسبح في الفضـاء . ووجـه الشبـه هنـا حقيقـة لا مجـازاً ، ولا ينطبق ذلك على الحيوان لأن الحيوان كالحمير ، والبغال ، والجمـال ، والخيول لا تسبح وإنما تمشي بأرجلها على الأرض .

وقـالـوا أيضـاً إنـه يمكن الاستـدلال على خلـق الطـائرات ، والسيـارات وغيرهـا ممـا يركب اليـوم بقـولـه تعـالى : ﴿ **وَالخَيْـلَ وَالبِغَـالَ وَالحَمْيرَ لتَرْكبوهَا وَزِينةً وَيخلُقُ مَالاَ تَعلَمون** ﴾[٣] .

فقولـه تعـالى : ﴿ **ويخلق مـالا تعلمـون** ﴾ دليـل على أن هنـاك خلـق سيخلق للركوب غير ما كان معروفاً لـدى النـاس آنـذاك وهنـاك حـديث عن

---

(١) انظر لسان العرب مادة « صعد » .

(٢) يس آية : ٤١ ، ٤٢ .

(٣) النحل آية : ٨ .

الرسول الكريم يؤيد ذلك وهو قوله عليه الصلاة والسلام « لتتركن القلاص[1] فلا يسعى عليها » .

ففيه دلالة على أنه سيأتي زمن يستغني الإنسان عن ركوب الجمال بغيره وقد كانت أهم مركوب له يعتمد عليه في حمل الأثقال ، والركوب ، والتنقل من مكان إلى مكان .

☆ ☆ ☆

(١) القلاص : النوق .

الفضاء والعلم الحديث

الفضاء الذي سنتكلم عنه هنا هو ما بعد الغلاف الجوي ، أو ما بعد الجاذبية الأرضية ، وكثير من المسلمين اليوم أخذوا هذه الكلمة « غزو الفضاء » على علاتها ، كما ترجمت من اللغة الأجنبية وإني أرى تأدباً مع الخالق العظيم بألا نستعمل كلمة « غزو » إذ معنى « غزو » معروفة ؛ إذ تعني الإقحام بشدة ، وتعني التحدي وتعني القهر ، والانتصار : تقول « غزوت العدو » إذا سرت لقتاله ، وداهمته ، وانتصرت عليه ، وقهرته ، واستوليت على ما لديه بقوة وقهر ، وإن البشر في حقيقة الأمر عندما يصعدون إلى الفضاء ، وعندما يشقون باطن الأرض ، فليس معنى ذلك أنهم غزوا الفضاء ، وغزوا الأرض ، - وإن كان ذلك المعنى مقصوداً عند بعض الناس الذين يحاربون الخالق ولا يعترفون بوجوده - ولكن هو بحث عن الرزق ، وبحث عن العلم ، كمن يذهب إلى البحر ليصطاد السمك ، ويذهب إلى الصحراء ليصطاد الصيد ، أو يبحث عن رزق آخر ، فيضرب في الأرض للتجارة ، وغيرها ، كما أن حب الاستطلاع شيء طبيعي في الإنسان ، ومجبول عليه .

فالشيء المناسب لهذا الأمر إذن أن نقول : علم الفضاء كشف الفضاء ، الصعود إلى الفضاء ، عروج الفضاء ، الوصول إلى الفضاء ، وما شابه ذلك من الكلمات التي تحمل معنى التأدب مع الله تعالى .

هذا طبعاً بالنسبة للمسلمين ، أما بالنسبة لغيرهم ، فلا اعتراض لنا عليهم .

وقد استدل البعض من علماء الإسلام المعاصرين بقوله تعالى :

﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ

السمواتِ والأرضِ فـانفُـذوا لا تَنْفـذونَ إلا بسلطـان ﴾[١] على أن هـذه الآية حجة للمسلمين في كون البشر يستطيعون كشف الفضـاء ، والصعود إليـه وإني في الحقيقة لا أميل إلى هذا القول لما يلي :

أولاً : إن الآيـة الكريـمة جـاءت متحـديـة للجن ، والإنس ، وإذا كان هناك تحد من الله تعالى ، فكيف يحق للإنسان أن يتحدى الخالق ، وينفذ من أقطـار السموات ، والأرض،لأن معنى التحـدي هو أنـه لا يمكن للبشر إطـلاقـاً بأن ينالوا شيئاً من ذلـك ، على أننـا نرى اليوم أن البشر فعلاً قـد استطـاعوا النفـوذ من أقطـار السمـوات ، والأرض فـالطـائرات ، والصـواريـخ والأقمـار الصناعية قد نفذت من أقطار السموات والأرض ، إذا اعتبرنـا أن « السماء » مـا عـلا الإنسـان وليست هي السمـوات السبـع ، وقـد هبطـوا بسفنهم على سطـح القمر ، فذاك يعني أنهم قد انتصروا على ذلـك التحـدي ، وذلـك محـال في حق الخالق العظيم !

ثانياً : من السياق يبدو أن هذا التحدي من الله تعالى يوم القيامة وليس في يومنا هـذا ، فقـد جـاء قبل ذلـك قولـه تعـالى ﴿ **كلٌّ مَنْ عَليهـا فَـان ، ويَبْقى وجهُ ربِّك ذَو الجلالِ والإكرام . فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكـذبـان . يَسـألُـه مَنْ في السمـواتِ والأَرضِ كلَّ يـومٍ هـو في شَـأن . فبـأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذبان . سنَفْرُغُ لكم أَيُّه الثقَلان * فبأي آلاءِ ربِّكما تكذبان * يـا معشرَ الجنِّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعتم أَنْ تَنفُـذوا مِنْ أقطـارِ السمـواتِ والأَرضِ فانفذُوا لا تَنفُذونَ إلا بِسلطَان ﴾**[٢] .

---

(١) الرحمن آية : ٣٣ .

(٢) الرحمن آية : ٢٦ ـ ٣٣ .

فنرى الآيات قبلها تتناول شرحاً وافياً عن أحوال يوم القيامة ، وما يسبقه من فناء للعالم ، والبقاء لله وحده ثم الحساب للخلائق ، ثم المجازاة على الأعمال وعند المحشر للخلائق يتحدى سبحانه وتعالى الثقلين من الإنس والجن فحسب بأن ينفذوا من أقطار السموات والأرض ، لأن هذين الجنسين من الخلق هم الذين قد تحدوا الخالق العظيم في الدنيا ، وتحدوا قدرته ، بل جحدوا وجوده كخالق عظيم ، ومدبر كريم . فهم في ذلك اليوم في قبضته لا يستطيعون الإفلات والنفوذ من أقطار السموات والأرض ، فليس لديهم سلطان لذلك النفوذ كما كان لديهم في هذه الدنيا ﴿ **يومَ تُبدّلُ الأرضُ غيْرَ الأَرضِ والسمواتُ وَبَرزُوا للهِ الواحدِ القَّهار** ﴾[1] .

فهذا السياق يقضي التحدي من الله تعالى للجن والإنس ، وتعجيزهم عن ذلك .

ومعنى نفذ الشيء من الشيء : إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية . أقطار : نواحي وجوانب . سلطان : قوة . ومعنى ذلك لا تنفذون من قبضتي اليوم إلا بقوة وسلطان ، وليس لديكم اليوم شيء من ذلك ، كما كان لكم في الدنيا . وقدم الجن - والله أعلم - على الإنس ، لأن جنسهم سابق على جنس الإنس ، أو لأن بأس الجن أقوى من بأس الإنس ، فلهم أساليب في المكر والخداع ، والتضليل أكثر من الإنس ، وما ليس لهم ، ويمكن أن يجتمع المعنيان معاً .

ثالثاً : إذا رجعنا إلى أقوال المفسرين المسلمين ، فإننا نرى أن القول المعتمد

---

(١) إبراهيم آية : ٤٨ .

عندهم ، والذي عليه الجمهور هو يوم القيامة(١) .

قال الألوسي : « والأنسب بالمقام لا يخفى » وهناك قولان آخران : أحدهما مروي عن ابن عباس وهو إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموه ، ولن تعلموه إلا بسلطان ، أي بينة من الله تعالى : أي في الدنيا . والقول الثاني أنه يقال لهم ذلك عند الموت .

رابعاً : والدليل على أنه يوم القيامة أن الله تعالى قال بعد ذلك ﴿ **يُرسَلُ عليكما شُوَاظٌ من نارٍ ونُحاسٌ فلا تنتصران** ﴾ .

ونحن نرى أن الذين صعدوا إلى الفضاء ، ونفذوا لم يصبهم شيء من ذلك .

إذن المقام يقضي أن يكون يوم القيامة ، أما في هذه الدنيا فإن الله قد أعطاهم ، وأمدهم بالعلم والمعرفة ، والاختراع ، فاخترعوا أشياء لم تكن في الحسبان ، ونفذوا فعلاً من أقطار السموات والأرض ، كما أمد من قبلهم بالمال والعلم والمعرفة والقوة ؛ كالفراعنة وغيرهم من الأمم السابقة :

ففرعون مثلاً قد تحدى موسى وقال لهامان وزيره ﴿ **يَاهامانُ ابْنِ لي صَرحاً لَعلّي أبلغُ الأَسباب** ﴾(٢) وقوله ﴿ **فأَوقِدْ لي ياهَامانُ على الطين فاجعلْ لي صَرحاً** ﴾(٣) .

وتحكي الروايات أنه لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح ، جمع

(١) انظر فتح القدير ٥ / ١٣٧ وانظر الألوسي ٢٧ / ١١٢ وانظر زاد المسير ٨ / ١١٦ والطبري ٢٧ / ٧٩ والنيسابوري ٢٧ / ٥٩ بهامش ابن جرير والكشاف ٤ / ٤٥ والقرطبي ١٧ / ١٦٩ .

(٢) غافر آية : ٣٦ .

(٣) القصص آية : ٣٨ .

هـامـان خمسين ألف بنَّـاء غير الأتبـاع والأجراء ، وأمر بطبخ الآجر والجص ، ونشر الخشب ، وضرب المسامير ، فبنوا ورفعوا البناء وشيدوه ، بحيث لم يبلغه بنيـان منـذ خلق الله السمـوات والأرض ، فكان البـاني لا يقـدر أن يقـوم على رأسـه ، فصعـد فرعون السطح ، ورمى بنشـابـة نحو السماء ، فرجعت ملطخـة بالدماء ، فقال قد قتلت إله موسى . هكذا روي[١] وهـذه الأهرامـات شـاهـدة على مـا أمـدهم الله بـه من قوة وعلم فكان ذلـك بـالنسبـة لـذلـك الزمـان نفوذ واستطاعة ، وسلطان ، حيث استطاع أن يبني ذلـك البنيـان الكبير ، المرتفع ولكنه يوم القيامة هل يستطيع أن يعمل مثل ذلك ، أو أقل منه بكثير ؟ !

فكذلك الحال في عصرنا هذا ، فإن العلم قد تقـدم تقـدمـاً ملموسـاً فصنعت الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية . وكل ذلك مما علمهم الله تعالى ، وقـد أعطاهم القدرة على كل ذلك ما داموا في هذه الدنيا ، أمـا في الآخرة فليس لهم ذلك ، ولا يستطيعون ومما يؤيد ذلك مـا جـاء في القرطبي عن ابن المبـارك ، وعن الضحـاك قـال « إذا كان يـوم القيـامــة أمر الله السماء الــدنيــا فتشققت بـأهلها ، فتكـون المـلائكـة على حـافـاتهـا حتى يـأمرهم الرب ، فينزلـون إلى الأرض ، فيحيطون بـالأرض ومن فيهـا ثم يـأمر الله السماء التي تليهـا كـذلـك فينزلون ، فيكونون صفاً من خلف ذلك الصف ، ثم السماء الثالثـة ، ثم الرابعـة ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، فينزل الملك الأعلى في بهائـه ، وملكـه ، ومجنبتـه اليسرى جهنم فيسمعـون زفيرهـا ، وشهيقهـا ، فـلا يـأتـون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً من الملائكـة ، فـذلـك قولـه تعـالى : ﴿ **يـامعشر الجن والإنس ..** ﴾[٢] .

---

(١) انظر القرطبي ١٣ / ٢٨٨ .

(٢) القرطبي ١٧ / ١٦٨ .

وإن كان هـذا الخبر لم يسنـد إلى رسـول الله ﷺ ، إلا أنـه في حكم المسنـد إليه ، لأن ذلك من علم الغيب ، ولا يقول ذلـك إلا رسول الله ﷺ ، فيكون في حكم المرفـوع ، لا في حكم المـوقـوف . وقيـل إن قـولـه تعـالى : ﴿ **يرسـل عليكمـا شواظ من نـار** ﴾ ليس لـه تعلق بـالنفـوذ ، بـل أخبر أنـه يعـاقب العصاة عذاباً بـالنـار[١] . ولكن كما قلنـا إن الصواب هو القول الأول[٢] ، وليس معنى هذا أن نخطىء من يقول إن هذا في الدنيا كما نقل ذلك عن ابن عباس ، أو نشنع عليه .

وإذا قلنا بقول ابن عباس رضي الله عنهما بأن المقصود منه في الدنيـا (وهو إن استطعتم أن تعلموا مـا في السموات ومـا في الأرض فـاعلمـوه ولن تعلمـوه إلا بسلطان ، أي ببينة من الله تعالى ، فإني أرى أيضاً أن ذلـك للتحـدي على أن السموات هي السموات السبـع ، لا الفضـاء ، لأنـه لا يمكن لهم الـوصـول إليهـا البتة ، وإن استطاعوا أن ينزلوا على سطح القمر وغيره من الكواكب ، فـذاك بالنسبة للسموات السبع ليس شيئـاً ، وهـذا القمر كما يقولون تـابع لمجرة الأرض فهو قريب منها ، فأين هم من أقطارالسموات السبع حتى يصلوا إليها !

أما أقطـار الأرض على قول ابن عباس فإني أرى كذلـك أن أقطـار الأرض هو ما بداخلها ، وقطر الكرة كما هو معروف في الهندسة ما ينصفها ، وقـد نقل هذا القول النيسابوري عن بعض أهل العلم[٣] .

ولا يمكن لهم كـذلـك الوصول إلى داخـل الأرض مهما أوتـوا من علم وقـوة وسلطان ، ولا يمكن لهم أن يتعدوا قشرة الأرض ، لأن الأرض كما قلنا باطنهـا

---

(١) انظر القرطبي ١٧ / ١٧٠ .

(٢) وقد أيد هذا القول السيد قطب رحمه الله تعالى ولم يذكر سواه انظر في ظلال القرآن ٧ / ٦٨٦ .

(٣) انظر النيسابوري بهامش ابن جرير ٢٧ / ٨٩ .

ملتهب جداً ، ومحاط بعدة طبقات. وليس معنى كلامي هذا أن الصعود إلى الفضاء والكشف عنه لا يجوز الإقدام عليه ولا يجوز اختراع ما يوصل إلى الفضاء ، والكواكب الأخرى ، بل إني أرى أن المسلمين أولى من غيرهم بذلك ، ولكن أعني أن الآية المذكورة ليس فيها دلالة حسبما يبدو لي أنهم سيتمكنون من الوصول إلى الفضاء ، واختراع ما يوصل إليه ، لأنها خاصة بيوم القيامة ، لما ذكرت من الأدلة .

ولكن يمكن أن نثبت صعودهم إلى الفضاء ، وكشفهم للكواكب بمدلول آخر معاكس ، وهو أنه كما ذكرنا أن الله علم الإنس والجن مالم يعلموا ، وأعطاهم قوة ، وسلطاناً في هذه الدنيا ولكنه سبحانه يوم القيامة يتحداهم ، ويقول لهم لقد كان لكم في الدنيا سلطان ، وقوة ، وعلم ، وقد سمحت لكم بأن تنفذوا من أقطار السموات والأرض ، وتصولوا وتجولوا كيف تشاءون ، وأن تصلوا إلى كل ما تريدون ، أما اليوم فليس لكم ذلك ، فأنتم اليوم في حكم المأسورين ، وفي قبضتي ، فلا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً مما علمتموه في الدنيا ، وعملتموه .

وبذلك نستطيع أن نثبت بأن الآية فيها دلالة على أنه لا مانع من اختراع ما يوصلهم إلى الفضاء ، والصعود إليه في هذه الدنيا فإثبات ذلك ممكن عن طريق النفي لا عن طريق الإيجاب ، فلما نفى عنهم سبحانه بأن ليس لهم سلطان للنفوذ من أقطار السموات والأرض يوم القيامة ، جاز أن يكون لهم في الدنيا .

على أن هناك آيات أخرى يمكن الاستدلال بها على أن البشر سيحاولون الصعود إلى الفضاء ، ويتمكنون من الاختراع الذي يوصلهم إلى آفاق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفَاقِ وفي أنفسِهِم حتى**

﴿ يَتبيَّنَ لَهم أنَّه الحقُ ﴾[١] فالآفاق : جمع أفق (بضمتين) ، وهو الناحيـة من الأرض ومن السماء[٢] . أي أن الله تعـالى علم بـأنهم سيجـوبـون آفـاق السمـوات والأرض بمـا علمهم من علم ، وسيرون سنن الكون وقـوانينـه وسيكشفـون كثيراً من الحقائق الكونيـة التي جـاءت في القرآن الكريم ، وحينئـذ سيتبين لهم بـأن الإسلام هو الدين الحق ، وأن القرآن كلام الله ، وأن هذا القرآن ليس من عند محمد ﷺ . واستدل بعض العلماء المعاصرين من المسلمين كذلك بقولـه تعـالى : ﴿ لَتركبُنَّ طَبقاً عنْ طَبق ﴾[٣] .

على أن المقصود بذلك هو ارتفاع الإنسان بوسائله العلمية الحديثـة طبقـات الفضاء بصواريخه ، وبأقماره الصناعية

على كل حـال ، فهي تفسيرات ظنيـة ، لا حرج على من يقول بـذلـك وهنـاك صنف من النـــاس ممن يتصيـــدون في المـــاء العكر أو ممن في قلـــوبهم مرض ، أو من المرجفين المتقولين ، الحـاملين على الإسـلام وأهلـه يقـولـون : إن الآيـة قـد جـاءت متحدية الإنس على أن ينفذوا من أقطـار السموات والأرض ، وهـا هم قـد نفـذوا من أقطـار السموات والأرض ، وحلـوا على سطـح القمر ، فلم يحصـل لهم شيء من ذلـك الوعيد ، والتهديـد وقصـدهم بـذلـك التشكيـك في القرآن ، ومحـاربـة الإسلام ونبي الإسلام .

وفيما ذكرنـا من تحقيـق لمعنى الآيـة الكريمـة ـ في اعتقـــادي ـ يكفي للرد عليهم ، والكشف عن مخططـاتهم ، وإزالـة الشبهـات التي أوردوهـا ، وتـذرعوا بها ..

---

(١) فصلت آية :٥٣ .

(٢) انظر المصباح المنير مادة « أفق » .

(٣) الانشقاق آية : ١٩ .

وهناك حقيقة قد أشار إليها القرآن الكريم وقبل أن يعرف الناس عنها شيئاً ، وهي أن الشمس مصدر للضوء، والقمر مكتسب للضوء قال تعالى : ﴿ **تَبارك الذي جَعَلَ في السماءِ بُروجاً ، وَجَعلَ فيها سراجاً وقمراً منيراً** ﴾[1] .

وقال : ﴿ **أَلم تَروا كيفَ خَلقَ اللهُ سَبْعَ سموات طِباقاً * وجَعَلَ القمرَ فِيهنَّ نوراً وجعلَ الشمسَ سِرَاجاً** ﴾[2] .

وقال : ﴿ **وبَنينا فوقكم سَبْعاً شِداداً * وجعلنا سِرَاجاً وهَّاجاً** ﴾[3]

فالقرآن الكريم قد أثبت حقيقة ما للشمس ، وحقيقة ما للقمر ، من أن الشمس أصل للضوء ومصدره ، فكلمة سراج تعني أن الضوء نابع منها ، وصادرٌ عنها ، أما القمر فإنه قد عبر عنه بأنه نور والنور كما نعرف لا يشع الضوء من ذاته ، وإنما يكتسبه من غيره .

وهكذا نرى أن العلم الحديث قد أثبت أن القمر يكتسب نوره من الشمس ، لأنه يعكس أشعة الشمس الساقطة عليه . وما هو إلا كالأرض مكون من تراب وجبال ووديان .. عكس ما كان الناس يعتقدون (انظر شكل (٥)) .

وقد أثبت القرآن الكريم أيضاً حقيقة جريان الشمس في الفضاء قال تعالى : ﴿ **والشمسُ تجري لمستقرٍ لَها ذلك تَقديرُ العزيز العليم * والقمرُ قدّرناه مَنازِلَ حتى عادَ كالعُرجون القديم * لا الشمسُ**

---

(١) الفرقان آية : ٦١ .

(٢) نوح آية : ١٢ ، ١٣ .

(٣) النبأ آية : ١٢ ، ١٣ .

يَنبغي لها أَنْ تُدركَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌّ في فَلَكٍ يَسبحون ﴾[1] .

فالشمس تسبح في الفضاء ، والقمر يسبح في الفضاء ، ولكل منهما مدار ، وفلك يسبح فيه لا يتعداه ، وقد كان علماء الفلك وإلى عهد قريب يعتقدون أن الشمس ثابتة ، والأرض والقمر هما اللذان يدوران حولها ، ولكنهم رجعوا عن ذلك القول ، وأثبتوا أن الشمس تجري كغيرها في الفضاء عندما ثبت لهم ذلك .

أما عن المستقر للشمس في الآية ، فإن للمفسرين أقوالاً في ذلك : فمنهم من يرى أن المستقر للشمس هو يوم القيامة ، فتقف ولا تبقى لها حركة ، وبذلك ينتهي عالم الأرض ، لأنها إذا تعطلت عن العمل تعطلت الأرض ، وانتهت الحياة فوقها .

وقيل هو أبعد ما تنتهي إليه في جريانها في الدنيا ، ولا تجاوزه وقيل غير ذلك[2] . والصحيح فيما يبدو لي هو القول الأول .

أما الحديث المروي عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوماً « أتدرون أين تذهب الشمس ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها .. »[3] .

---

(١) يس آية ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) انظر فتح القدير ٤ / ٣٦٩ .

(٣) مسلم ١ /٣٦ بهامش إرشاد الساري .

فإنه روي بروايات متعددة ، وقد قال النووي رحمه الله تعالى : « فهذا مما اختلف المفسرون فيه ، فقال جماعة بظاهر الحديث ، قال الواحدي : وعلى هذا القول إذا غربت كل يوم ، استقرت تحت العرش ، إلى أن تطلع من مغربها ، وقال قتادة ، ومقاتل : معناه تجري إلى وقت لها ، وأجل لا تتعداه ، قال الواحدي : وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا ، وهذا اختيار الزجاج ، وقال الكلبي : تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مستقر لها الذي لا تتجاوزه ، ثم ترجع إلى أول منازلها،واختار ابن قتيبة هذا القول . والله أعلم . وأما سجود الشمس ، فهو بتمييز وإدراك ، يخلقه الله تعالى فيها ، وفي إسناده عبد الحميد بن بيان الواسطي »[1] .

وقراءة ابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، وزين العابدين وابنه الباقر ، والصادق بن الباقر ﴿ **لا مستقر لها** ﴾ بلا التي لنفي الجنس ، ومستقر اسمها مبني على الفتح ، وقرىء كذلك بلا التي تعمل عمل ليس ، ومستقر اسمها مرفوع .

والشيء الطريف في هاتين القراءتين أن العلم الحديث يوافقها فيرى أن الشمس تدور حول نفسها في ٢٥ يوماً تقريباً وذلك يعني أن ليس لها مستقر في هذه الدنيا ، فهي دائماً في حركة مستمرة في الفضاء ، إلى أن تنتهي الحياة ، فتتوقف عن العمل .ولا تعارض بين معنى القراءتين : فالقراءة «لمستقر » تصلح ليوم القيامة ، والقراءة « لا مستقر لها » تصلح لهذه الدنيا ، لأنه لا يخفى أن جملة « لا مستقر لها » حالية، على القاعدة المعروفة « الجمل بعد المعارف أحوال» ، أما على القراءة الأولى « لمستقر لها » فهي جار ومجرور متعلق

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١ / ٣٧ ، ٣٨ .

بتجري ، أي ليست جملة ، وإنما هي شبه جملة ليس لها محل من الإعراب .

وهـذا الـذي جعلني أرجح القول القـائل أن « المستقر » هـو يـوم القيـامـة عنـدمـا تتوقف عن العمـل.كما أن القمر يـؤدي دورتـه حـول نفسـه في الـوقت الذي يتم دورته حول الأرض فيما يقرب من ٢٩ يوماً ، ونصف اليوم .

والعرجون : هو العذق المنحني اليابس من النخلة ، وكلما قدم اعوج أكثر .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وكل في فلك يسبحون** ﴾ دلالـة على أن كل مـا في الفضاء يسبح بقدرة الله تعالى ، وله فلك ، ومدار خاص به لا يتعـداه ، لأنـه لـو كـان المقصـود الشمـس والقمـر ، لرجـع الضمـير إليهمـا بالتثنـيـة ، فـ ﴿ **كلٌّ** ﴾ هنا تعني جميع النجوم ، والكواكب ، والشمس والقمر ، فـالكل في فلكه يسبح وفي مداره يدور .



اختراعاتهم حجة عليهم

عندما بعث الرسول الكريم صلوات الله عليه ، نزل عليه الوحي الإلهي أول ما نزل في غار حراء بواسطة جبريل عليه السلام ، فبدأ بالدعوة إلى الله تعالى ، وكانت المفاجأة لمن حوله من كفار قريش فبدأوا يتهمونه بالكذب تارة ، وبالجنون تارة أخرى ، وبالكهانة تارة ثالثة ، لأنهم كانوا يستبعدون نزول الوحي من السماء ـ ذلك البعد الشاسع ، والمسافة العظيمة ـ إلى الأرض في وقت قصير ، حيث إن ذلك على حَدِّ زعمهم شيء ينكره العقل ، ولا يقبله المنطق .

ولو عقلوا ، وتدبروا ، لما استبعدوا ذلك على قدرة القادر العظيم ولما تعجبوا ، ففي خلق أنفسهم ، وخلق ما حولهم من الحيوان ، وخلق السموات ، والأرض ما يدل على قدرة القادر وأنه تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ، ولا في السماء .

ولم يكن كفار مكة وحدهم في ذلك المستوى من التفكير السطحي ، ولم يكن غيرهم أحسن تفكيراً منهم ، فقد كان ذلك شأن كل جاحد على وجه الأرض ، أو معاند من اليهود والنصارى ، والمجوس ، وغيرهم ، فكلهم جحدوا رسالة محمد ﷺ .

وذهبت الأيام ، وجاءت الأيام ، حتى جاء عصر العلم كما يقولون واخترعوا اختراعات بأيديهم ، ومما علمهم الله تعالى من المرئيات والمسموعات ما يكون حجة عليهم ، وأن ما كانوا يستبعدونه وينكرونه ما هو إلا حقيقة ، وأن قدرة الله لا يقف أمامها شيء ، وإذا أراد شيئاً ، فإنما يقول له كن فيكون .

نعم جاء عصر العلم ، ليخترع ذلك الإنسان الجاحد ، وبيده وعقله ما

يؤيـد ويؤكد ذلـك ، ويعترف بـه ، فـأراهم الله ذلـك من واقع البشر ، ومن صنعهم ، ومن تفكيرهم ، ولله المثل الأعلى في ذلـك ، فـاخترعوا الهـاتف السلكي والـلاسلكي فـالإنسـان يتكلم في الخليـج مـع زميلــه وهـو في أمريكا في نفس الوقت،يسأله ، ويجيبه ، وبينهما آلاف الأميال والمسافة كما ترى شاسعـة جـداً ، بل تمكنوا من مكالمة أبعد من ذلك ، فرواد الفضـاء يتحـدثون مع زملائهم على سطح الأرض وهم على سطـح القمر وفي نفس اللحظـة ، والكـلام بينهم مستمر دون انقطاع ، والمسافـة كما يقولون بين الأرض والقمر نحو ٣٨٤٠٠٠ كيلو متراً ، وهذا شيء حقيقي وواقعي ، لا ينكره اليوم أحد .

فإذا كانت هذه مقدرة المخلوق الضعيف فكيف بقدرة الخالق العظيم ! الذي خلـق الكـون كلـه ، وأوجـد الخلـق ! فهـل بقي استغراب اليـوم ، أو حجـة للمنكرين ، والجاحدين ؟

وعندما أسري به عليـه الصلاة والسلام من مكـة إلى بيت المقـدس ، وعرج به إلى السماء في نفس الليلـة وأخبرهم بـذلـك عليـه الصلاة والسلام في الصبـاح قامت قيامتهم واتهموه بـالجنون ، وتهجموا عليـه بـالكلام الجـارح ، واستبعـدوا ذلك عليـه ، ذلـك أن المسـافـة بين مكـة وبيت المقـدس شهراً ذهـابـاً ، وشهراً إياباً ، وذهبوا ـ كما تحكي الروايات ـ إلى أبي بكر الصديق وقالوا له تعال يـاأبـا بكر انظر إلى صديقك محمـد إنـه يزعم أنـه أسري بـه إلى بيت المقـدس في هـذه الليلة ، وعرج به إلى السماء ، فما رأيك في هذا الكذب وهذا الادعاء ؟.

فما كان من أبي بكر رضي الله عنه ، إلا أنه ألجمهم بحجر في أفواههم فقـال : لَئِنْ قال ذلك ، فقد صدق فوالله إنـه ليخبرني أن الخبر ليـأتيـه (من الله) من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل ، أو نهار ، فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منـه ثم أقبـل حتى انتهى إلى رسـول الله ﷺ ، فقـال : يـانبي الله : أحـدثت

هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يانبي الله ، فصفه لي ، فإني قد جئته ، قال الحسن فقال رسول الله ، فرفع لي حتى نظرت إليه ، فجعل الرسول يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله كلما وصف له شيئاً ، قال صدقت ، أشهد أنك رسول الله فلما انتهى قال رسول الله لأبي بكر : وأنت ياأبا بكر الصديق »[١] .

ورغم أن الرسول الكريم قد أخبرهم بالعِيرِ التي كانت على الطريق ، والمكان الذي كانت تمضي فيه ، ورغم وصفه لبيت المقدس ، ولم يثبت أنه رآه من قبل ، فإنهم لم يصدقوه ، ولم يعترفوا بكل ما جاء به .

واليوم ، وبعد أن مرت الأيام ، مكنهم الله تعالى من اختراع الطائرات التي تقطع كل تلك المسافة بين مكة ، وبيت المقدس في خلال ساعة ، أو ساعة ونصف ، بل اخترعوا ما هو أسرع من الطائرة النفاثة ، كالصاروخ ، والقمر الصناعي الذي يدور حول الأرض ، فيقطع ثمانية كيلو مترات في الثانية الواحدة ، بل إن سفينة الفضاء في رحلتها إلى القمر ، بلغت أثني عشر كيلو متراً في الثانية ، بل هناك ما هو أسرع بكثير من ذلك : وهو سرعة الضوء التي كشف عنها العلم الحديث ، بل قد يكون ما هو أسرع من ذلك والعلم عند الله وحده .

والنبي الكريم لم يسرِ ، ولم يعرج وحده ، معتمداً على الطاقة البشرية ، وإنما أسرى الله به ، وعرج به إلى السماء بواسطة جبريل عليه السلام ، فهناك إذن قوة لا يماثلها قوة ، فهي قوة الخالق القادر على كل شيء .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٩٩ .

قال تعالى : ﴿ **سبحانَ الـذي أَسرىٰ بعبـدهِ ليلاً مِنَ المسجـد الحرامِ إلى المسجد الأَقْصىٰ الـذي بَـاركْنَـا حولَـه لِنُريَـه مِنْ آيـاتِنَـا إنـه هو السميعُ البصيرُ** ﴾[١] .

لـذلـك جـاء قولـه عليـه الصلاة والسـلام في المعراج « ثم أخـذ أي جبريـل بيدي ، فعرج بي إلى السماء الدنيا .. »[٢] وفي رواية « عُرِج بي »[٣] بصيغة المبني للمجهول .

هل بقي بعد ذلك استغراب ، أو استبعاد على قدرة الخـالق العظيم ! أليس هذا شاهداً على البشر وحجة عليهم ؟

☆ ☆ ☆

(١) الإسراء آية : ٢ .

(٢) انظر مسلم ١ / ١٦٤ .

(٣) انظر مسلم ١ / ١٦٤ بهامش إرشاد الساري .

وجود الملائكة والجن يؤيدهما العلم الحديث

قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرسولُ بِمَا أُنزِلَ إليـه مِن ربّـهِ والمؤمنونَ كُلٌّ آمَنَ باللهِ وملائِكتِه وكُتبِه ورُسلِه ﴾(١) .

وقال : ﴿ تَنَزَّلُ الملائِكةُ والروحُ فيها بإذن ربهمْ مِنْ كلِّ أمر سلامٌ هي حتى مَطْلَعِ الفجر ﴾(٢) .

وجاء في الحديث الصحيح عندما سأل جبريل الرسول عن أركان الإيمان قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقضاء خيره وشره »(٣) .

فالإيمان بهم واجب والمنكر لهم كافر بإجماع الأمة لأن ذلك ثابت بدليل قطعي دون ريب ، أو شك فيه . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكفر باللهِ وملائِكتِه وكتبهِ ورسلِه واليومِ الآخر فَقد ضلَّ ضَلالاً بَعيداً ﴾(٤) .

وأما الدليل على وجود الجان فكذلك ثبت بدليل قطعي قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلقْتُ الجنَّ والإِنْسَ إلاّ لِيعبدُون ﴾(٥) .

وقال : ﴿ خَلَقَ الإنسانَ مِنْ صلصالٍ كالفخارِ * وخَلَق الجانَّ مِنْ مَارجٍ مِنْ نَار ﴾(٦) .

وقد ثبت أن الرسول الكريم انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق « عكاظ » وقد حيل بين الشياطين ، وخبر السماء ، وأرسلت عليهم

---

(١) البقرة آية : ٢٨٥ .
(٢) القدر آية : ٥-٤ .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) النساء آية : ١٣٦ .
(٥) الذاريات آية : ٥٦ .
(٦) الرحمن آية : ١٤ ، ١٥ .

الشهب ؛ فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا قد حيل بيننا ، وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ، ومغاربها لتعرفوا ما هذا الأمر الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له،قالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم ﴿ **فقالوا** ﴾ يا قومنا ﴿ **إنَّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشدِ فآمنَّا بهِ ولن نُشرِكَ بربنا أحداً** ﴾ فأنزل الله تعالى ﴿ **قُلْ أُوحي إليّ أنَّه استمعَ نفرٌ مِنَ الجن** ﴾[1] .

إن كثيراً من الناس حتى الآن لا يقرون ولا يعترفون بوجود الملائكة والجن ، والحجة التي يتذرع بها هؤلاء هو عدم رؤيتهم لكل من الملائكة والجن ، وعدم الإحساس بهم .

نقول لهؤلاء ليس كل ما لم تره أعينكم ، أو تسمعه آذانكم ليس بموجود ، فأنتم لا تستطيعون أن تروا بأعينكم المجردة المكروبات والجراثيم ، ولا تستطيعون أن تروا الذرة ، وهي تتحرك إلا عن طريق المكبر ، وهذه العوالم لهاخطورتها في هذا الوجود ، وتشكل قوة رهيبة أكبر من قوة الإنسان ، وهذا المغناطيس لا ترونه وأنتم تحسون به ، وهذه الجاذبية الأرضية التي كشفت حديثاً لا ترى بالأعين ، ولا تحس بالحواس ، ولا يشعر بها الخلق ، إلا إذا خرجوا عن جاذبية الأرض ، ولا يعلم حتى الآن ما سببها ؟، وقد ثبتت ، ولا ينكرها أحد ، واستطاعوا أن يكشفوها بما علمهم الله تعالى من علمه .

---

(١) انظر البخاري ومسلم والترمذي وابن هشام وغيرهم (انظر فتح القدير ٥ / ٣٠٧) .

أليس في ذلك ما يدحض حججهم الواهية ، وآراؤهم الباطلة ؟ إن نبي الإسلام قد أخبرنا بأن مع كل إنسان قرين من الملائكة وقرين من الشياطين :

فعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد ، إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياي ، لكن الله أعانني عليه ، فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير »[١] .

فأما الملائكة فإنهم حفظة ، ويكتبون الحسنات والسيئات وأما الشيطان ، فإنه يأمر الإنسان دائماً بفعل السوء ، والمنكرات ويوسوس له حتى يوقعه في المهلكات إن استطاع :

فقد روى أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم »[٢] .

وعن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ، ثم قمت لأنقلب ، فقام معي ليقلبني (أي يردني) وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ « على رسلكما إنها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يارسول الله ! قال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً ، أو قال شيئاً »[٣] .

وسُمُّوا جنّاً لاجتنانهم ، وهو اختفاؤهم عن الأبصار ، وقد قال تعالى :

(١) رواه مسلم وأحمد .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه البخاري ومسلم .

﴿ **إنَّه يَراكُم هُوَ وَقبيلُه مِنْ حيثُ لا تَروْنهم** ﴾[1] وأعطاهم القدرة على التشكل ، فهم يتشكلون بالإنسان والحيوان ، ومسكنهم في الأرض ، ويكثرون في الفلوات ، والخرائب ، ومواضع النجاسات ، كالحمامات ، والمزابل ويسكنون كذلك المقابر .

فهل اليوم وبعد اختراع آلة البث ، وآلة الاستقبال لكل من الراديو ، والتليفزيون ، والهاتف ما يدعو لنكران مثل ذلك وعدم تصديقه ؟

فهل يستبعد من أن الله تعالى قد أودع في الشيطان قوة غير مرئية ، وغير محسوسة للبشر يستطيع بها أن يتصل بقلب الإنسان مباشرة ، ويأمره ، وينهاه ، ألم يقل سبحانه ﴿ **قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس ..** ﴾ . فالوسوسة كما فسرها العلماء : هي الصوت الخفي ، كما يقال لهمس الصائد والكذب وسوسة ، ووسواساً وأصوات الحَلي وسواس .

وقالوا إن وسوسته هي الدعاء إلى طاعته بكلام خفي يصل إلى القلب من غير سماع ، وقد قالوا ذلك رحمهم الله تعالى قبل أن يعرفوا شيئاً عن المخترعات الحديثة .

فنحن نرى مثلاً في عصرنا أن شخصاً من أمريكا يكلم شخصاً في الخليج ، وأنت جالس بالقرب منه ، ويضع السماعة على أذنه فيسمع كل ما يقوله زميله ، وأنت الذي بالقرب منه لا تسمع شيئاً من ذلك ، والكلام ينتقل خلال الهواء ، وعبر الأسلاك ، ولا أحد يستطيع أن يسمعه سوى ذلك الشخص الذي يضع السماعة على أذنه وقد ذكر الإمام ابن تيمية أن بعض

---

(١) الأعراف آية : ٢٧ .

الشيوخ الذين كان لهم اتصال بـالجن أخبره بـأن الجن يرونـه شيئـا براقـاً مثل الماء ، والزجاج ، ويمثلون له فيه ما يطلب منه من الإخبار به ، قال : فأخبر النـاس بـه ، ويـوصلـون إليّ كـلام من استغـاث بي من أصحـابي ، فـأجيبـه ، فيوصلون جوابي إليه[1] فهذا يشابه ما نشاهده في التليفزيون في وقتنـا الحـاضر فهل هناك استبعاد ، أو عجب بعد هذه الاختراعات التي على مرأى ومسمع من كل إنسان ؟

فهل بقيت لهم حجة بعد ذلـك ؟ ألم تتضح الحجـة ، ويتبين البرهـان بـأن الله تعـالى واحـد أحـد ، وأن دينـه الإسلام هـو دين الحـق ، وأن محمداً عبـده ورسوله ، وأن القرآن منزل من عنده ؟ ألم يـأتهم النـذير ، ويبين لهم الحق من الباطل ؟

فما هي حجتهم يوم القيامة أمام الخالق الديان عنـدمـا يسـألهم ويوبخهم ، لتفريطهم في حق الخـالق وكتـابـه المبين ، ونبيـه الأمين ويقـول لهم : ﴿ **أولم نعمِّرْكم مَايتذكرُ فيهِ مَنْ تَذكّرَ وجـاءكم النـذيرُ فـذُوقوا فمـا للظـالمين مِنْ نَصير** ﴾[2] .

وهـذا الـذي جعلني أرجح القول القـائل أن النـذير في الآيـة هو العقـل ، فمعنى الآيــة والله أعلم : أولم نعمركم في الـدنيــا عمراً ، كان يمكن لكم فيــه أن تتذكروا ، وتدبروا ، وتتبصروا بواسطة العقل الذي أنعمنا بـه عليكم ، فتهتـدوا إلى الحق ، فتتبعوه .

وإذا قلنا إن النذير هو القرآن أو الرسول ، لأنها الأساس في النذارة ، فإنه

---

(١) مجموعة فتاوي ابن تيمية ١١ / ٤٠٩ .

(٢) فاطر آية : ٣٧ .

بعد وفاة الرسول يكون النذير هو هذا العقل لأنه هو الموصل إلى معرفة القرآن ، والإسلام ، وهو المميز بين الحق والباطل .

فهذا العقل في الواقع ما هو إلا نذير للإنسان ، وهو حجة عليه ، ولا شك في أن هذه الاختراعات ، والعلوم ، والتكنلوجيا التي توصل إليها الإنسان اليوم ما هي إلا ناتجة عن هذا العقل العجيب الذي أمد الله به الإنسان ، وميزه ، وفضله على سائر مخلوقاته ﴿ **وَلقد كَرمْنا بَني آدمَ وَحملنَاهم في البر والبحرِ ورزقنَاهمْ مِنَ الطيبات وفَضلناهم على كثيرٍ مِمنْ خلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾[1] .

هذا ما يسره الله بالنسبة (للقسم الأول) من هذا البحث المتواضع « العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه ؟ » .

نسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يوفقنا لخدمة دينه ، والذب عنه ، وأن يهدينا سبل الرشاد إنه سميع مجيب ، وبالإجابة جدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين

عبد الله العبادي

في ١٤٠٥/٧/١هـ الموافق ١٩٨٥/٣/٢٢م

---

(١) الإسراء آية : ٧٠ .

نبذة عن المؤلف :

- درس الابتدائية والإعدادية في المملكة العربية السعودية .
- درس الثانوية في دولة قطر .
- حصل على « الليسانس » في الشريعة الإسلامية من المملكة السعودية بالمدينة المنورة .
- حصل على « الليسانس » في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٢ م .
- حصل على « الماجستير » في الفقه المقارن بامتياز من جامعة الأزهر في الشريعة والقانون سنة ٩٨ هـ ٧٨ م .
- حصل على الدكتوراة في الفقه المقارن بامتياز بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر (الشريعة والقانون) ١٤٠٢ هـ - ٨١ - ٨٢ م .
- عمل مدرساً في المراحل المختلفة في المملكة العربية السعودية وقطر .
- عين مشرفاً عاماً على الشئون الثقافية بجامعة قطر .
- له مساهمات عديدة في المقالات العلمية والأدبية في مجلات دولة قطر ، والمجلات الإسلامية الأخرى .

كتب للمؤلف

١ - من الآداب والأخلاق الإسلامية (مطبوع) .

٢ - الذبائح في الشريعة الإسلامية (رسالة ماجستير) :

أ - المباح من الحيوان وشروط حل الذبيحة (مطبوع) .

ب - ذبيحة الكتابي وشروط حلها (مطبوع) .

جـ - حكم الصيد وشروطه وآدابه (مطبوع) .

د - المحرم من الحيوان وبيان الحكمة من تحريمه (مطبوع) .

هـ حكم الأضحية والهدي ومشكلة اللحوم في منى .

و ـ العقيقة وحكمها والحكمة من مشروعيتها .

٣ ـ موقف الشريعة من المصارف الإسلامية المعاصرة رسالة دكتوراة (مطبوع) .

٤ ـ سلسلة مقالات علمية (تحت الطبع) .

٥ ـ سلسلة مقالات أدبية اجتماعية (تحت الطبع) .

٦ ـ أخطاء لغوية معاصرة (مخطوط) .

٧ ـ الواقع التاريخي للمسلمين (مخطوط) .

٨ ـ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه ؟ (القسم الثاني) (تحت الطبع) .

٩ ـ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه ؟ (القسم الثالث) (تحت الطبع) .

الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

ÇáÚáã ÇáÍÏíË ÍÌÉ ááÇäÓÇä Ãã ÚáíÉ
49503
211.9 Ú È Ú